



روايات غاوه



الخاطفة



www.efromancia.com

مِرْمُورَةٌ

دار المعرفة
بيروت - لبنان

روأيات غاية

«ألا زلت مؤمنة أن الحب ليس المقوم الرئيسي للزواج» فيونا
لينسي مصممة على رأيها، بالرغم من أن روى غارليس أثبت لها
العكس ..

لكنها وهي بين ذراعيه لن تستطيع تحمل مزاجه المزعج ..
وستقول له غداً أن الحب يجعل الأمور أكثر لطفاً وأكثر جمالاً مع
وجود الحب .. لكن شريطة التوازن .. فليس من العدل أن يحب
أحدهما الآخر والآخر لا يبادله هذا الحب .. وهذا أمر عرفه
بالتجربة المريرة وحدها!

يطلب من دار إحياء العلوم
دار البيضاء
تلفون 319411

يطلب من مكتبة الصفاء
لو مطبي
تلفون ٧٧٢٠٥٣

ويطلب التوزيع الوحديد في الكويت
العلماني للنشر والتوزيع
تلفون ٣٧٢٨٩٩

يطلب من شركة دار الفكر
تونس
تلفون 564785

من أنت ؟

بدت الحديقة حول منزل فيونا الصيفي وكأنها أصبحت بزية .. مضى أسبوع فقط لم تأت به الى هنا .. وأسبوع من الشمس المشرقة فعلت العجائب بالأعشاب المتنامية ، وبكل شيء آخر .. خرجت من سيارتها في منتصف الصباح ، تندم على قلة نومها .. وكان يجب عليها أن تصلك الى هنا في وقت مبكر أكثر .. ! استدارت حول منزلها بيضاء .. تحسب في فكرها كم سيسفر عنها من وقت لإعادة الحديقة الى طبيعتها ، وكما تحبها .

فكرت فيونا بالأمر وهي تشرب قهوتها ، وتقرأ البريد المكون داخل الباب ، والذي كان معظمه طلبات ، طلبات خاصة .. لم تكن معتادة على استلام هذا العدد الكبير من الطلبات خلال أسبوع . المحلات التي كانت تبيع لها معظمها عادات هدايا ، تعنى بالزوار والسواح ، وعادة كانت هذه المحلات تأخذ ما تستطيع هي أن تعطيه .. كلفها هي : سبعة طلبات ، وللتسلیم في أسرع وقت ممكن . صحيح أنها كانت مسرورة لكن خائفة كذلك .. كانت تأمل أن تخفي بعض الوقت في شراء ما يلزمها من مواد أولية

تفاصيلها ما عدا أن النتيجة ستكون دخلاً ثابتاً بدلاً من كمية محددة من البيع.. ولقد بدأت تفكير بالأمر، ولم تطلب منه إعادة عرضه.. قالت له:

- جيم.. أنا آسفة.. لكنني لا زلت لا أفهم عرضك تماماً..
ويجب أن أطلب منك توضيحه ثانية.

- لا بأس في هذا.. في الواقع، تغيرت أمور كثيرة.. ولدي فكرة أو أخرى.. ويمكنني تقديم عرض أفضل الآن.. لو تستطعي توفير ساعة لي.. لو..

- بالطبع أستطيع.. سأراك غداً إذا أحببت.
- عظيم! للتناول الغداء معاً.. سأتي لأخذك.
- لا.. سأقابلك في منتصف الطريق.

لكنه اقترح مطعماً في منتصف الطريق فعلاً ما بين منزلها و«نورثم» البلدة القرية على الطريق العام إلى بيرث وسيكون اللقاء ظهراً.. وضع الساعية ببطء مفكرة.. دون أي التزام.. كل ما وعده به أنها ستضفي إلى عرضه.. ويمكنها الإصغاء بعناية هذه المرة، ثم تقرر ماذا ستفعل.. أما الآن.. فقد قالت لنفسها: هنا الآن.. تحركي، فما أمامك ليس بالأمر السهل.. عملت بجهد وسعادة، طوال اليوم، وخرجت في المساء الباكر لتسقي الحديقة.. عيناهَا متعيتان ولن تتمكن من العمل أكثر من هذا. وإذا استمرت طوال الأسبوع القادم، تقسم وقتها بين العمل، وعمل المنزل، والحدائق، فكل شيء سيكون على ما يرام.. عالمها لن يعود كما كان أبداً.. لكن، بالتدريج أخذت

في نهاية الأسبوع هذه.. والوقت متتصف الصيف، والأشياء التي تبتدعها خلال الشتاء، كلها بيعت ، تقريباً.

جلست طويلاً تفكير بالأسبوع القادم.. وصممت رأياً.. واتصلت بجيم ردait في المكتب:

- جيم؟ مرحباً.. أنا سعيدة لأنني وجئتك قبل أن تخرج...
قاطعتها ضحكته:

- بإمكانك الاتصال في المنزل.

- أجل.. لكن.. لا بأس.. اسمع لن أتمكن من المجيء إلى المكتب في الأسبوع المقبل.. حسناً.. إنها سبعة طلبات تنتظري..
لو أنها تنتظر أن يتغيب جيم لها، فهي خطئة، فقد قال:

- هذا من حقك بالطبع.. لكن فيونا.. نحن نحتاج إلى مساعدة هنا.. هل فكرت.. حسناً.. هل فكرت بعرضي لك؟
بالنسبة للعمل ومتى أتوقع قرارك؟

العمل.. تأوهت في نفسها، عليها اتخاذ قرار آخر.. والدها كان يفكر أن يجعل منه شريك له.. فجيم رجل رائع، مطلق دون أولاد، في أواخر العشرين من عمره.. ولقد عمل لوالدها لمدة ثلاثة سنوات.. ووالدها لم يخطئ يوماً في تقديره أو تحركه..
ومؤسسة لينسي العقارية مؤسسة منذ خمسين سنة على يد جدها لأبيها جورج لينسي.. وكان لأبيها الإشراف الكامل على المؤسسة
منذ ترك المدرسة ووفاة جدها قبل ذلك بثمانين سنوات.

أمام فيونا الآن خيار فجيم يريد شراء المؤسسة لكن المشكلة أنه لا يملك المال.. واقتراح صفقة بدت لها منعدة جداً.. نسيت

تستعيد حياتها الطبيعية.

المأساة التي حلّت بها، هزت البلاد كلها.. ومنذ أسبوع فقط استطاعت اتخاذ قرار حول منزل والديها.. أو ما كان منزل والديها.. وقبل هذا.. كانت لتعيش في ذهول الصدمة، وفي ضباب نفسي وذهني بدأ لتوه ينجل.. حتى الآن.. لا زالت في حالة متواترة.. فظاعة الرعب الذي حل بها ملوث والديها.. سيستغرق أكثر من ستة أشهر لتغلب عليه.. الكارثة كانت تحيط الطائرة التي كان يستقلها وزوجته وعدة أفراد من العائلة، تقريباً كلها جرفتهم جميعاً في لحظة واحدة، والصدمة لم تكن لها لوحدها بل هزت العالم.

من ناحية أخرى، لم تكن فيونا يوماً غير مسؤولة.. لقد عملت جاهدة بالنسبة لتعليمها. ومررت في كل امتحاناتها بنجاح، وأصرّ على أن يتوقف والدها عن مساعدتها، حال أن استطاعت إعالة نفسها.. وكانت لهما إبنة طيبة، أحبتهما كثيراً وأظهرت لهما هذا وكانت تزورهما باستمرار.. وضميرها مرتاح في هذا.

كان والداها يعيشان مع عمتها وزوجها في بيرث، وكعادتهما كل سنة، كانوا سيسافران لزيارة الأقارب في إنكلترا.. لكن هذه السنة كان سيرافقهما العمدة وزوجها وإبناهما الأكبران وزوجتيهما، إحداهن حامل في شهرها الرابع.. العائلة كلها.. بل عائلات.. ولم يبق لديها سوى ابن عم أصغر أنهى لتوه دراسته الجامعية. وكان هذا أول ما فكرت به صباح الأحد.. حياتها، الروتين.. لكن ماذا عنها؟..

في المساء.. جلست تحمل لنفسها وتحاول جهدها أن توصل إلى قرار حول اقتراح جيم.. لكنها تحتاج إلى مساعدة.. إلى رأي خبير.

صباح الإثنين، اتصلت بمحامي أبيها، صديق قديم للعائلة.. استمع إليها ثم أعطاها رأيه حين انتهت.. وغضبت شفتها دليل عدم الرضى.. فالسيد آلان لم يساعدها كثيراً، بل قال إن القرار لها.. وهذا ما تعرفه!

- هكذا إذن.. حسناً.. يبقى هناك مسألة أخرى سيد آلان.. مسألة منزل والدي.. . .

لكنه يعرف بأمر قرارها بيع «روسدايبل»، فالسيد برونز اتصل به، والسيد برونز محامي السيد روبي غارليس الذي قدم آخر عرض للشراء، ووجدت نفسها مرتاحة لهذا. ولا تستطيع تصديق حظها.. وقالت له:

- وهل ستنتهي الأمر بأشعر وقت ممكن؟ متى يمكن أن أتوقع إكمال الصفقة؟

كان الرد، في حوالي الأربعين إلى خمسة أسابيع.. حسناً هذا يكفي، وسرعراً.. فالمعروف عن المحامين ببطء تقدمهم في أعمال بهذه.

هذا يعني أنها في منتصف آب تقريباً، لن تعود تملك منزل أبيها القديم «روسدايبل» وعليها أن تأخذ منه كل الأشياء التي تريد الاحتفاظ بها.. وقد تحتاج إلى استئجار شاحنة صغيرة.. وهذا شيء يجب أن تفكّر به كذلك.

أخذت تكلم نفسها مرة أخرى: يكفي هذا فيونا، عودي إلى العمل يا فتاة!.. لم تكن معتادة على هذا، لكنه يدل على أنها تعود إلى الحياة، وتحاول أن تبقى عملها مستمراً.. لكن، لم يعد أي شيء كما كان حتى في هذا المنزل الصيفي.. الرضى الذي عرفته من قبل.. تغير.. وكأنه موجود وغير موجود لقد خسرت كل عائلتها ما عدا شخص واحد.. ابن عم يعيش على بعد مئتي ميل عنها، ولا بد أن توماس يشعر بنفس الوحدة الآن.. ربما حين يقبل الشتاء، وتستقر الأمور سترذهب لتقييم معه لاسبوع أو اثنين.. ولا بد أنه يدور في فراغ كبير داخل المنزل الذي تركه له والدها.. بعد أن أنهى تعليمه الآن.

المطر يوم الثلاثاء والأربعاء منعها من الاهتمام بالحديقة.. والتزمت غرفة عملها لمعظم اليومين، وأمضت ما تبقى من اليومين في إكمال أعمال متزلية مهملة.. صباح الخميس قادت سيارتها إلى أقرب سوبر ماركت لشريري ما يملأ البراد والثلاجة.. حين عادت، نظرت إلى الحديقة مقطبة وهي تخرج من السيارة.. يومان من المطر وعادت الحديقة كما كانت بحاجة إلى العناية من جديد.. رتبت مشترياتها في الخزان، وغیرت ملابسها، ارتدت جينزًا قويًا وتي شيرت سميك.. وبدأت العمل في الجهة الجنوبية من المنزل. كانت قد وصلت إلى الحديقة الخلفية حين وصل روبي غارليس.. كانت الساعة تقارب السادسة، ولم تسمع اقتراب سيارته.. لأنها كانت تستمع إلى الراديو الصغير، ولم تحس أنها لم تعد لوحدها إلا بعد أن شعرت أن أحداً يراقبها.

كانت قد سالت السيد روبي غارليس:
- لماذا أنت متقبل هكذا؟ لماذا لا تجادلني بالسعر، لماذا لا تساوم؟

- وليس السعر منصفاً؟

- بكل تأكيد.. لكن المرأة عادة..

- عادة لماذا؟ الوقت له ثمن، والوقت بالنسبة لي الآن أغلى من المال.. أريد أن أستقر في أسرع وقت ممكن.. ولدي أسبابي.. فهل اتفقنا؟

- أجل.

- سأقول لك ما جعلني أوفق بسرعة.. المكان معزول، وفيه الكثير من المساحة، وبعيد عن الأنظار.. وأرجو أن لا يكون الجيران مزعجين.. من النوع المتطفل.

- أظنهن لطفاء، لكن لن يزوروك إذا لم تشجعهم.

- أريد خلوي.. فعملي يتطلب العزلة.. فانا عالم تاريخ وأريد تأليف كتاب عن الشعوب القديمة.

- ولماذا شراء متزل، هذه مبالغة.

- لأنني لم أجد متزاًًا مناسباً للإيجار.

- أفضل زوجتك الأمكنة الهدامة؟

لم تكن تريد أن تعرف ما إذا كان متزوجاً أم لا، بل كانت تظهر الفضول فقط.. لكنه قال متوجهماً:

- ليس لدى زوجة.

وأقسمت بعدها أن لا تسأله أسئلة شخصية.

قبل أن تكمل مديده يمسك شعرها المضموم إلى قسمين
ويوضح:

- لست واثقاً من هذا.. مع أنني أعتقد أن هناك جاذبية
مؤكدة... .

صفعت يده:

- أتسمح أن تتوقف عن هذا؟

كانت لا تعرف ماذا تفعل بنفسها.. كان قلبها يخفق بسرعة
ووجهها يحمر كمراقة... ماذا دهاده! تحس بسعادة غامرة
لرؤيتها؟

- بما أنك هنا.. تفضل بالدخول إلى المترجل.. سأغسل يدي.
دخلت المطبخ، تحس بخطواته اللينة خلفها.. كان يبدو
 مختلفاً، يرتدي الجينز والتي شيرت الصيفي الذي يبرز عضلات
صدره القوية.. ووضعت يديها تحت الماء، تحاول التماسك.. ثم
قالت:

- بما أنك هنا.. هل لي أن أعرض عليك القهوة أو أي شيء
آخر.. روبي.

لكنه كان قد اختفى.. توجه إلى غرفة الجلوس، وكان يتفرج
على المكان وكان منزلها الصيفي الصغير يشبه القصر.

- هنا تعيشين إذن.. يا له من مكان رائع.. أحببته! منذ متى
وأنت هنا؟ وكيف وجدت مثل هذه اللقطة!
كانت قد جعلت من منزلها مكان دافئاً حيماً.. ووضعت
طابعها الخاص فيه.. وكان سؤاله التالي:

بيطء شديد، استدارت، وهي في وضعية الركوع قرب مسكنة
الورود، وقشعريرة ذعر تمر على ظهرها، حين استقرت عيناهما عليه
يستند إلى الجدار، خفق قلبها بجنون، كل ما تستطيع فعله هو أن
تنزع نفسها عن الصياح في وجهه.. لكنها مع ذلك لم تكن راغبة في
أن تخس بالرضى لرؤيته، ولا تريده أن يراها بهذا الشكل
الأشعث.

- سيد غارليس؟ ماذا تفعل هنا؟

- حسناً.. ماذا لدينا هنا.. وأنا من كنت أظن نفسي رجلاً
متناقضاً.. ما رأيك بهذا كتغير للصورة؟ لكنك تدين جيله
فيينا.. جيله جداً.

نظرت إليه بذهول.. لا تصدق أنه يعني ما يقول.. لم يكن
ييسم، وعيناه الرماديتان جادتان، تفترسان في وجهها..
وتتحرّكان ببطء على جسدها.. وقالت:

- روبي.. هل جئت؟

- أوه.. يعجبني هذا.. العودة إلى الطبيعة.. دون ماكياج ولا
عطر، ولا.. ملابس داخلية.

صاحت ساخطة:

- أتسمح..؟ ماذا.. كيف وجدتني..؟

- فتشت عنك.. لحقت صوت الموسيقى، وهو أنت.
اهتاجت فيينا، كان لا يزال ينظر إليها نظرات لها معنى ومع
أنها لم تصدق ما سمعت، إلا أن إطراه لها كان صادقاً..

- أنت تعرف جيداً ما أعني.. .

والمواد الأولية التي تصنع فيها الخلي الفريدة من نوعها ومن صنع يدوي، كانت ملقة بترتيب فوق رف العمل الذي بناء لها والدها تحت النافذة، لتحصل على أكثر كمية من النور.. وأخذ روبي يتلمسها واحدة واحدة!

- ماذا..؟ هل هذه هوايتك فيونا؟

أستندت نفسها الى الجدار لا زالت تصبحك منه:

- لست أدرى لماذا تبدو مزهولاً هكذا.. فهكذا أكسب عيشي.. أنا أصنع الخلي.

- أستطيع أن أرى هذا.

وأشارت الى طاولة أخرى عليها أطباق بيضاء ودهان وفراشي وسائل لترقيق والتنظيف:

- وهذه هوايتي.. أرسم على الأطباق.. مع أنني أبيع منها الكثير.. إنها مرتبطة تماماً في الواقع.. هز رأسه.

- هذا ما ظنته.. تلك التي على الجدار في الأسفل، ظنتها من الأثريات.. إنها رائعة.

- لست أعرف شيئاً عن هذا، لكن شكرالإطراء.. أثريات؟.. هيابنا، للنزل، لدى بعض العصير في البراد.. أتعبه؟

- كثيراً.

لحق بها الى المطبخ، يطرح الأسئلة ويعلق طوال الوقت.

- أنت مليئة بالمفاجئات.. لماذا لم تخبرني بكل هذا؟ لماذا تركتني

- من ورثت اليد الخضراء؟ هذه نماذج نباتات مفضلة لدى.. . ضحكت، بعد أن ردد لها إسماً طويلاً باللاتينية:
- وهي مفضلة لدى أيضاً.. لكتني أسميتها السرخس.
ضحكت:

- وهذا ما قلته.. باللاتينية.

وجد باباً في زاوية الغرفة البعيدة، فاتجه إليه:

- ماذا هناك؟ هل لي أن ألقى نظرة؟

لحقت به، فهو لم ينتظر ردها ولم يكن المكان سوى حمام.

- حمام في الطابق الأسفل؟ غريب قليلاً لكنه مناسب.. وفوق؟
هزت كتفيها..

- تفضل..

فهو سيفعل على أي حال، كان السلم يتصاعد من ردهة هي الأصغر خلف الباب الأمامي، وتركته يتقدمها.. في الطابق الأعلى غرفتان فقط غرفة حولتها الى غرفة عمل وغرفة نومها.

استكشف روبي غرفة النوم أولاً، يلقي نظرة على السقف المنحدر وعوارضه الخشبية المنحنية المفتوحة، السرير المزدوج والخزائن الثابتة، والبسط البيضاء على الأرض الخشبية.. وأعلن أن الغرفة «مبهجة» قبل أن يستدير إليها:

- لكن، لماذا آمنت أن تعيشي في منطقة ريفية بعيدة.. بعيدة عن المدينة.. فتاة شابة.. هذا لا يناسب.. أنت مليئة بالمفاجئات فيونا.

كانت ستجيب، لكنه تحرك ليلى الغرفة الثانية.. الأدوات

- لكن ما لي ضدهم هو ردة فعل عاطفي .. لديهم الكثير من المال، لكنني لا أستطيع إجبار نفسي على تسليمهم مؤسسة أبي، لبيتلعواها ..

- هذا أمر غير منطقى .. أم إنك تظنين أن والدك كان سيكره الفكرة؟

- لست أدرى في الواقع .. لقد كان في السابعة والأربعين فقط .. ويعرف أنتي لن أتبع خطاه في العمل .. لكن، في مثل سنه لماذا يفكر بماذا سيحدث حين يتتقاعد؟ وهو لم يتحدث يوماً عن المدى البعيد، أو عن البيع!

تابع طرح الأسئلة، وتقديم التعليقات إلى أن أنهى أخيراً بالقول لها كما قال المحامي، لكن مع فارق بسيط، فهو لم يقابل جيم بينما المحامي يعرفه جيداً.

أخيراً ابتسما!

- دعينا نلتزم الموضوعية، وأنت لا ترغبين في استيلاء الشركة الأخرى على عمل والدك .. وترغبين في أن يأخذها جيم .. وربما لا تحتاجين إلى المال .. لكنك ملعونة إذا عرضت للخطر ما هو من حقك، ما عمل جدك ووالدك، جاهدين لتحقيقه.

نظرت إليه مباشرة:

- بالضبط .. هذا تماماً ما أشعر به.

- إذن أجيبني على هذا: هل جيم وابن رجل كفؤ؟ هل يعرف العمل جيداً؟ هل من الممكن أن يبقى منطلقاً، ويحقق طموحه .. ثم يصبح قادراً على أنه يدفع لك في الوقت

أفهم أنك سمسارة عقارات؟ ظنتك مدربة على هذا العمل، وإنك توليت أمر المؤسسة حين ..

هذت رأسها توفر عليه بقية الكلام:

- هناك مقاعد مريحة في السقيفة هناك أيمكن أن تخوجهها لأجيء أنا بابيريق العصير؟ فمن الأفضل أن تتمتع بما تبقى من شمس هذا اليوم.

حين جلسا مستقران في الخارج، طفت فيونا تخبره عن نفسها: ما تعبه ولا تحبه .. وإنها تعيش بخيارها وكأنها الناسك معظم الأوقات .. فقال:

- وأنا كذلك .. حين أعمل، استغرق في عملي تماماً .. وتنضي الساعات دون أن أشعر .. وحتى أياماً .. فأنا أعمل خلال الليل .. وأتوقع أن تفهمي كيف يحصل هذا.

- أفهم جيداً، وأفهم أنك لا تستطيع العمل سوى في منزل خاص بك، حتى ولو كان مؤقتاً ولا تستطيع أصف لك سعادتي حين وجدت هذا المنزل .. مع إنه كان في حالة سيئة جداً .. أصلحته وأبي معاً .. وأراد أن يشتري لي لكن مالكه لم يكن يهم بالبيع، لسبب ما.

وأكملا الحديث بتفاهم تام، ودون أن تفك وجدت نفسها تخبره عن عرض جيم وابن لاستلام المؤسسة وإدارتها .. وقالت له عن البديل: لقد إنصل بها مدراء مؤسسة أكبر مركزها أيضاً في نورث، والتي كانت المنافس الوحيدة لمؤسساتهم منذ سنوات يعرضون الشراء!

- أرجوك كن جدياً.. أتعرف كم نبعد عن أقرب محلات؟ وهي لا تفتح في مثل هذه الساعة!

- إذن فلنجعل الميزة شيئاً.. هناك ما يكفي من أشجار حولنا.. أليديك حبل؟

- روبي!

- أعرف تماماً أن لا مطاعم قرية من هنا حتى نورثم..

- مطعم! لا تنظر إلى..؟ سيلزمني ساعتين لأحضر للمطعم! لم يعد يستطيع كبح ضحكته..

- أنظري إلى نفسك، قدمان سوداوان! ومتفرجتان عن بعضهما بعنداد.. وعينان خضراء وان تلمعان بلؤم.

- أنها الأحق..

- ويدان على الخصر، قبستان مشدودتان، وإضافة إلى كل هذا المشهد، تحملين ما كان من المفترض أن يكون عشائياً.. قطعة مطاط وبعض الفحم..

- عشاءك... .

- وماذا تفعل مضيفتي؟ تصبح بي مثل المرأة السلبية. استدارت تلتقط قطعة قماش تنظيف مبللة بما يكفي ورمتها بها.. لكنها لم تكن راضية حين التقطتها، ورمها عليها بسرعة لتفعل على وجهها.

- أنها الجرذ الحقير.. سوف... .

لم تتمكن من قول المزيد، فقد قفز يمسك بيدها ويرجعهما إلى خلف ظهرها.

ال المناسب، حسب الشروط التي تقدم بها؟

- أجل.. أجل.. أؤمن أنه قادر.. في الواقع كان والدي يفكرون أن يجعله شريكأ... .

لقد حصلت على الرد، وهذا ما كانت تشعر به، لكنها كانت بحاجة إلى الدفع، ولقد وصل المحامي ووصل روبي إلى نفس الاستنتاج.

- شكرأ لك روبي.. في الواقع أنا جائعة جداً.. ما رأيك؟

- وأنا كذلك.

- حقاً؟.. لدى بعض.. أوه.. يا إلهي!

لقد وضعت قطع لحم الخاصرة وبعض البطاطس في الفرن قبل ربع ساعة من وصول روبي.. ودون كلمة تفسير تركته راكضة إلى المطبخ، الذي لم يكن قد إمتلاً بالدخان بعد لكن ساخن ومليء برائحة اللحم المشوي.. أمسكت قفاز فرن خاص، وأخرجت الصينية التي كانت تحوي قطعة لحم ذاوية وبعض البطاطس السوداء:

- أكان هذا عشاءنا؟

التفتت لصوت روبي، لا تعرف أتضحك أم تبكي ونظرت إلى الطعام المحروق:

- هذا ما أخشاه.. لن تصدق كم كانت هذه القطعة من اللحم كبيرة حين وضعتها في الفرن.. وكانت أني تناول ما سيتبقي منها في الغد مع السلطة.

- إنها غلطتي، غلطتي.. أظن أنني سأذهب لأقتل نفسي!

هذه المرة الثانية التي تقابل فيها روبي غارليس.. مع ذلك..
كانت تقع في حبه.. صاحت نفسها: لا تكوني سخيفة فيونا..
أنت منجذبة إليه فقط.. والأمر جسدي، لكنها لم تصدق هذا:
إنها تقع في حبه.. وإلا ما تفسير خفتها ومرحها، والإحساس أنها
منذ قابلته قد خطت من الضباب إلى نور الشمس؟.. لكن بكل
تأكيد لن يدوم هذا.. لا يمكن أن يدوم، ولا تريده أن يدوم،
فالشمن سيكون غالياً جداً..

نزلت إلى المطبخ رابطة الجأش تماماً، نظيفة ورائحتها صابون..
ترتدي جينزأً نظيفاً، وببلوزة زرقاء:

- مرحباً.. أهذا حقاً أنت؟

ابتسمت:

- أجل.. هذه حقاً أنا.. في مكان ما بين المتطرفتين اللتين
شاهدتهما من قبل... وماذا عنك؟ من أنت؟ وكيف يمكنك أن
تجعلني أحسن هكذا؟.. إنني لا أعرفك حقاً!

على طاولة المطبخ الصغيرة، وضع أمامها طبقاً ساخناً من
المعكرونة بالجبن، يتضاعد البخار منه.. وجلس قبالتها.. يبدو
مسروراً بنفسه.. وقال:

- آسف على فوضى المغسلة، أنا رجل فوضوي حين أطبخ.
- هذا ما أراه.

رف المغسلة كان مليئاً بكل مقللة تملكتها، عدا الأطباق
والملاءق.. لكن جهده أكثر من مرحب به.. والطعام طعمه
لذيد.

- أو..! حسن جداً.. حسن جداً.. أسحب كلامي..
أوسترالية عنيدة.. حسناً.. أماك ثانيتين سيدتي لتفولي لي
أين أجدد البيض..!
حين أحست ياصبعه في ظهرها وكأنه يوجه إليها مسدساً
انفجرت ضاحكة وانهارت.. وخفف روبي من قبضته عليها لكنه
لم يتركها. ثم سألهما إذا كان لديها جبن، حليب، زبدة، وخبز..
كل هذا وهي لا تزال منهارة من الضحك، حتى أن ساقيها انهارتتا
واستندت إليه، فأدارها لتواجهه.

فجأة توقف كل شيء.. الضحك، الحركة.. والزمن.. أو
هكذا بدا لها.. كانت مشدودة بقوة إليه، صدرها مضغوط على
صدره القاسي. والتفت عيونهما وتشابكتا، تسجلان الدهشة
والإرباك.. صدمة رغبة أعلنت عن وجودها في كل جسد
فيونا.. في كل مكان يتصل به بجسمه، حتى وحيث لا يتصل،
وعرفت أنه يشعر بنفس المشاعر، دون شك.. للحظات طويلة..
نظرها إلى بعضهما، دون حراك، أنفاسهما سريعة بعد تحركهما
السريع.. وكان هو من قطع الصمت:

- أوكى.. لماذا لا تذهبين وتنظفي نفسك بينما أحضر أنا شيئاً
نأكله؟

- أجل.. أظنتني سأفعل هذا.

خرجت من المطبخ على الفور دون طرح أسئلة.. فهي
مصدومة أكثر من أن تفكر، أو تقول له أين يجد كل شيء،
وصعدت إلى غرفتها لتستحم وتغير ملابسها..

- شكرألك.. والآن لماذا لا تقول لي ما الذي جاء بك إلى هنا؟
- أوه.. أجل كدت أنسى، أنا هنا لأطلب منك معرفة.
قابلت المحامي السيد برونز اليوم.. وهو من أخبرني بعنوانك وأخشى أن أكون قد أزعجت محامي.. السيد آلان.. أليس كذلك؟

- أزعجته؟ كيف؟ لماذا؟

- لم يتصل بك بعد الظهر؟ إذن من الأفضل أن أشرح لك...
سأشرح أولاً الأسباب التي تجبرني على الاستقرار في «روسدايل» في
أسرع وقت ممكن... أريد أن اختصر الوقت الذي أبقيه خارج
المنزل إلى حده الأدنى.

المنزل؟ أين كان منزلك؟ ومع من كنت؟ أكمل:

- ومع موافقتك، لا داعي لأن أؤخر انتقالي قبل إتمام إجراءات
البيع.. ويمكنك تصور رد فعل المحامي على هذا!

- لا بد قال: هذا مخالف للقانون.. أو شيئاً من هذا.

- بالضبط.. وأدھش هذا السيد برونز، ورفض الاتصال
بالسيد آلان، وقال إن هذا قرار يعود إليك.

هذت كتفيها:

- بالنسبة لي، يمكنك الانتقال ساعة تشاء.. شريطة..

- شريطة ضمان حصولك على المبلغ، بالطبع.. لقد أعطيت
السيد برونز شيئاً مصدقاً من المصرف، وهذا ما هدا من روعه
قليلًا.. وأظنه وضعه في حسابه، ليكسب عليه الفائدة إلى أن

يعطيه إلى محاميك.
ضحكـت:
- يبدو أنك ضلـيع بـأساليـب عمل المحـامـين.. أنت عـقـ، إـنـهم
يـحاـولـونـ الاستـفـادـةـ متـىـ استـطـاعـواـ.
في غـرـفةـ الجـلوـسـ صـبـتـ لهـ القـهـوةـ، وـقـرـبـتـ الطـاـوـلـةـ الصـغـيرـةـ،
يـبـنـمـاـ تـمـدـدـ هوـ عـلـىـ الـأـرـيـكـةـ مـرـتـاحـاـ.
- فيـوـنـاـ؟ـ أـخـبـرـيـنـيـ المـزـيدـ عـنـكـ..ـ أـنـتـ تـثـرـيـنـ اـهـتـمـامـيـ.
لـكـنـ ماـ يـمـكـنـهاـ أـنـ تـقـولـ لـهـ؟ـ لـقـدـ أـصـبـحـ يـعـرـفـ قـصـةـ حـيـاتـهاـ مـنـ
خـالـلـ مـقـاـبـلـتـيـنـ فـقـطـ.ـ أـخـبـرـتـهـ كـيفـ تـرـكـتـ مـنـزـلـ أـهـلـهـ،ـ وـكـيفـ
تـعـلـمـتـ حـرـفـتـهاـ فـيـ الجـامـعـةـ وـكـيفـ تـحـبـ أـنـ تـعـيـشـ لـوـحـدـهـ..ـ
مـسـتـقـلـةـ..ـ وـسـأـلـهـاـ:
- هلـ هـنـاكـ رـجـلـ فـيـ حـيـاتـكـ؟ـ وـإـذـ لمـ يـكـنـ،ـ مـاـذاـ؟ـ
لـأـنـهـ لـمـ تـقـاـبـلـ رـجـلـ مـثـلـهـ مـنـ قـبـلـ..ـ لـاـ..ـ هـذـاـ غـيـرـ صـحـيـحـ!ـ لـقـدـ
ظـنـتـ نـفـسـهـ تـحـبـ مـرـتـيـنـ مـنـ قـبـلـ..ـ ظـنـتـ نـفـسـهـ..ـ وـرـبـماـ هـذـاـ مـاـ
تـشـعـرـهـ نـحـوـ روـيـ غـارـلـيـسـ الآـنـ.ـ وـتـتـمـنـيـ أـنـ يـكـونـ!
ـ لـاـ..ـ لـيـسـ هـنـاكـ رـجـلـ..ـ فـأـنـاـ لـأـشـعـ بـحـاجـتـيـ لـرـجـلـ.ـ أـنـاـ
مـكـتـفـيـةـ ذـاتـيـاـ..ـ أـلـمـ تـلـاحـظـ هـذـاـ؟ـ
- هلـ أـفـهـمـ مـنـ هـذـاـ أـنـكـ تـعـيـشـنـ حـيـاةـ عـزـوـبـيـةـ كـامـلـةـ؟ـ
أـحـسـتـ بـالـإـهـرـارـ يـحرـقـ وـجـهـهاـ خـجـلاـ..ـ أـيـمـكـنـ أـنـ يـفـهـمـ لـوـ
شـرـحـ لـهـ؟ـ عـلـىـ الـأـرـجـحـ لـاـ.
- أـظـنـكـ قـدـ تـمـادـيـتـ كـثـيرـاـ..ـ فـهـذـاـ حـقـاـلـيـسـ...ـ
ـ لـيـسـ مـنـ شـائـيـ؟ـ أـوـهـ..ـ هـيـاـ الآـنـ..ـ لـقـدـ تـجـاـوزـنـاـ هـذـهـ

المرحلة.. فلا تحاولي الإنجلالق في وجهي الآن.. تجاوبي.. تحدي
إلي.. تواصل! تواصل! التواصل مع الناس هو عمله، الباحث في التاريخ
يعرف الناس ويفهمهم.. فهل اهتمامه بها عام أكثر من شخصي؟
أجد من المزعج كيف أن الناس، حتى والدائي، يحاولون
تصنيف الآخرين.. لا شيء غريب حولي، إذا كان هذا ما تفكر
به.

- لا تظني أني أحاول تصنيفك.. فإذا كنت تعيشين متغيرة
قليلًا فهذا لا يعني أنك شاذة عن المجتمع، أو غير طبيعية.
هذت كفيها، وقالت متوجهة:
- حين أحس بالحاجة.. سأخرج وأجد لنفسي رجلاً. وإذا
احتاجت للزواج فسأجد لنفسي زوجاً، بعد أن أحبه.
قالت كلمتها ولن تراجع، فليغير الموضوع بنفسه.. فهذا أمر
مهم لها.. هناك رموز تقليدية للتصرف اعتادت عليها وسألته:
- أكنت تحب زوجتك قبل أن تتزوجها؟
- بجنون.

ولم تستطع أن تكمل، فهو أرمل وليس مطلقاً.. ولن تخاطر في
النبش بالماضي.. ثم لم تعد تزيد سماع المزيد فغيرت هي
الموضوع.. وأكملت الحديث بخففة.. حين دقت الساعة على رف
المدفنة، نظرت إليها:

- روبي إنها متتصف الليل!
- وإن يكن؟

- يجب أن أستيقظ باكرًا في الصباح.
- لماذا فيينا.. هذا مزعج منك!.. لقد خبيت أمل.. ظننتك
تعمتن بصحبتي، فأنا ألمتن.
- وأنا كذلك.. لكن..
لكن ماذا؟ على الأرجح لن تنام باكرًا، وستبقى مستيقظة
كعادتها حتى ساعات الفجر الأولى:
- أنت محق.. سأصنع القليل من القهوة بعد..
كانت الساعة الثالثة إلا عشر دقائق حين قفز واقفاً..
- آسف.. يجب أن أذهب.. تكادي أن تناهي وأنت جالسة.
وقفت فيينا:
- أجل.. فأنا متعبة.
ترنحت قليلاً فوضع ذراعه على كفيها:
- إثبتي!
أبعدت نظرها عنه، تتجنب عينيه، فهمس بإسمها:
- فيينا؟
لماذا لا تستطيع النظر إليه؟ هل سيقبلها؟ لماذا هذا التوقع
يخيفها؟.. لكنها تركها.. يقول شيئاً عن رؤيتها يوم الإثنين بعد
الظهر.. بعد أن أوصلته إلى سيارته، وقفت تستند إلى الباب
الموصد، تصغي إلى صوت سيارته تبتعد.. تلعن نفسها
لترددتها.. إنه رجل حساس وقرأ ما في أفكارها تماماً.. وتنااغم
معها إلى أقصى مدى بالرغم من تعارفهما القصير.
تناول معها.. كما تنااغمت معه تماماً.

ستقرأ كل شيء كتبه حتى الآن، مع أنها لا تحب التاريخ كثيراً، وكأنها وجدت لقية ثمينة وسرية، وضعت الكتب في سيارتها، تعدد نفسها بقراءتها حين تصل إلى منزلها.

في التاسعة من صباح الإثنين، كانت في مكتب والدها. لا.. إنه مكتب جيم الآن.. وعمل جيم.. فقد أبلغته لتوها بقرارها تسليم المؤسسة له، فمد يده لها يضحك سعادة.. وارتياحاً. أخذ يصافحها وابتسمت من الأذن حتى الأذن:

- لن نندمي على هذا فيونا.. ! نفكك بي لن تكون في غير محلها.. وسترين..

نظرت في المكتب.. الطاولة الكبيرة التي كانت لأبيها، وأبيه من قبله..

- هذه نهاية... إنه عملك الآن.. سأترك لك وللمحامي السيد آلان أن تضعا شروط الاتفاق، يجب أن يكون شيء قانوني وعلى الورق.

- يجب أن نحتفل.. أيمكن لنا فيونا.. أن نتناول العشاء معاً.. للإحتفال.. أرجوك قولي نعم!

أحست بالأسف عليه، وأدركت أنه معجب بها جداً.. وليس لهذا أي علاقة بداعي العمل، إذ لم يعد هناك أي منها الآن.

- نعم! بالطبع سأفعل! قل متى.. وأين.

- عظيم! قبل أي شيء ارتدي أفسخ ملابسك، ستدhib إلى مكان أنيق.. سامر لأخذك من منزلك.. لا جدال.. س أحضر في سيارة تاكسي، تصوري الإنفاق! وستعودي إلى المنزل بنفس

- ٢ -

حب أم تناصب؟

ل ساعتين تقريباً، صباح يوم الأحد، كانت فيونا تنقل الصناديق إلى سيارتها وتعود ثانية.. لقد حصلت على وقت يكفي لتعتاد فكرة وداع «روسدائيل» وإلى الأبد. والليلة ستكون آخر ليلة تナامها هنا، لتكون قريبة من المكتب في الصباح.. مع ذلك، عملية جمع الأشياء التي لن تستطيع فراقها، كانت تخزّنها جداً.. الصور، المطرزات، مجوهرات أمها..

أول مهمة لها كانت ملابس أبيها التي لا زالت في الخزانة، وضعتها في أكياس بلاستيكية كبيرة، حتى آخر قطعة منها، وجمعتها في الردهة.. وستأخذها إلى محل بيع الملابس العتيقة في الغد. أبقيت حتى النهاية الأشياء التي تحتاج أن تفكّر ما إذا كانت تريدها أم لا. مثل الكتب.. وهي تفتش فيها ووصلت إلى ثلاثة كتب تاريخية بقلم روي غارليس.. من من ذويها كان يقرأ له؟ هل أعجب بها؟ هل التقياه؟ لا مجال أن تعرف. أحد الكتب كان مألفاً لها، حوى إلى مسلسل علمي تلفزيوني صور في أماكنه الأصلية في المكسيك عن شعب الأزتك.. لكن للأسف لم تحضره كلها..

الطريقة.

ابتسمت له:

- أرى .. أمراً مربياً .. أيمكن أن أثق بك .. جيم وايت؟

- لسوء الحظ .. أجل .. أرجو أن تدركني تماماً أن اهتمامي بك
أبعد من العمل فيونا.

ردت بخفة:

- آه .. لا بأس ، لا يمكنك كسب كل شيء.

- يجب أن نجتمع للإحتفال هنا ، مع ليزا ، شارل ، وماشا ..
كما أرغب في تقديم الموظف الجديد لك .. لنقل يوم الخميس ..
هنا في المكتب بعد الإقفال.

- اتفقنا.

- لكن احتفالنا ، أنت وأنا ، سيكون لوحدينا ، لماذا لا نجعله
هذا الليلة؟

- لا .. بل الغد . بعد الظهر سألتقي روبي غارليس في منزل
أبي ، ويجب أن أستأجر سيارة «فان» لنقل أغراضي ، ولست أدرى
متى سأنهي .. وسيساعدني روبي في نقل قطع الأثاث التي أريد
الاحتفاظ بها.

- روبي غارليس ، لا أصدق أنك بعت المنزل لشخص مشهور
مثله .. كم أود أن أقابلها.

- تستطيع ، وسأدعوه إلى احتفالنا هنا يوم الخميس ، إذا كان
هذا يناسبك.

- عظيم ! سيشرفنني هذا !

لم تبق فيونا هناك كثيراً .. فأمامها الكثير تتجزء .. وعليها
تسليم الطلبات ، وخرجت من مكاتب أبيها ، التي سيستمر جيم
باستخدام نفسِ الإسم لها ، تحس بالحزن والسعادة معاً ..
ووصلت «روسدايبل» في الثانية والنصف ، حيث كان روي
باتنتظارها في سيارته في الفناء الخارجي .. وقفز ليفتح باب سيارة
«الفان» التي استأجرتها فيونا.
وضع ذراعيه حول كتفيها.

- هيا بنا ، فلنبدأ العمل .. لا حاجة للتأخير !
لم يتأخر كثيراً في تعبئة الفان ، وتكنيس المنزل ، ووضع بعض
الغسيل في الغسالة .. وأصبح البيت جاهزآله ، ليتقل إلية .
عادا إلى منزل فيونا ، وأفرغا الحمل ، ثم عادا إلى «روسدايبل»
ليأخذا سيارتها .. وتركـت له أمر قيادة «الفان» العتيقة .. وهذا
ربما غير قانوني ، لأنـها لم تضع إسمـه كـسائق إضافـي على عـقد
الاستئجار . حين انتهـي كلـ هذا ، أحـست بالإـعيـاء .. وـكانـت آلة
الـغـسـيلـ قدـ أـنـهـتـ مـهـمـتـهاـ مـنـذـ مـدـةـ حـينـ عـادـاـ وـلـمـ يـقـ سـوىـ أـنـ تـعلـقـ
الـغـسـيلـ لـيـجـفـ .. وـقـالتـ ضـاحـكةـ :

- سـأـتـركـ أـمـرـ الكـوـيـ لـكـ .. فـهـيـ لـكـ الآـنـ .
حين انضـمتـ إـلـيـهـ فـيـ المـطـبـخـ كـانـ إـبـرـيقـ المـاءـ عـلـىـ الغـلاـيـةـ ..
- أـدـرـكـ الآـنـ لـمـاـذـاـ خـارـتـ قـوـايـ .. فـأـنـاـ لـمـ آـكـلـ شـيـطاـ طـوالـ
الـنـهـارـ أـهـنـاكـ شـيـءـ يـؤـكـلـ هـنـاـ ؟
- وـكـيفـ لـيـ أـعـرـفـ ؟
كانـ يـقـفـ وـظـهـرـهـ لـهـاـ ، وـكـتـفـيهـ مـنـحـنـيـانـ ، فـسـأـلتـ :

- روي.. ما بك؟ ماذا جرى؟

مررت لحظات قبل أن يستدير إليها، وكان وجهه صافياً،

- لا شيء.. سأحييني إذا بذلت جهداً.. لتناول كوبًا من القهوة، ثم نخرج لتناول وجبة طعام لائقة.

- موافقة!

تناولوا وجبة سريعة في مقهى قريب، وعادا سيراً إلى روسدايبل، يتحدىان دون ملامسة، وتوقفا قرب سيارتها.. مد يده يلامس شعرها الفاحم بأصابعه:

- ألن تدخلني؟

- لا.. الوقت متاخر.

توقف عن ملامسة شعرها، ودس كلتا يديه في جيبي الجينز..

وسأل:

- متى سأراك مرة أخرى؟

سوهل ترغلب في روؤتي؟

- أكنت سألك لو لم أكن أرغب؟ أنا لست معتاداً على قول أشياء لا أعنيها.

أخبرته عن الإحتفال في المكتب، وأنها وعدت بأن يكون هناك:

- ألمانع؟

- هذا يتوقف.. على أي أساس؟

- على أساس أنك رجل مشهور! آسفة لهذا.. ليزا وجيم توافقن لما قابلتك، لقد قرأ كل ما نشرته.. ولم تصدق ليزا أنها لم تعرفك يوم جئت المكتب لسؤال عن المنزل!

ضحك لها:

- أيتها المخلوقة المضحكة.. حسناً.. سأكون هناك.. لكن هذا يوم الخميس، فماذا عن الغد؟
- في الغد سأخرج مع جيم.. إنه موعد للإحتفال بالنسبة له..
صادق وبسيط.

- أيجيب أن تكونا لوحديكم؟

- أنا.. حسناً.. أجل، أغلن هذا..
- سأحترم قرارك.

ترددت قليلاً على أمل أن يقترح الأربعاء، لكنه لم يفعل:
- حسناً.. ليلة سعيدة.

ومدت يدها إلى مقبض السيارة:
التفت ذراعاه حولها من الخلف:
- ليس بهذه السرعة.

وأدبارها نحوه.. وحدث هذا بسرعة، ووجدت نفسها تعانقه، ويده تضغط بقوة على رأسها تضمها إلى صدره، وكأنه مقتنع أنها ستبتعد عنه.. لكن الفكرة لم تخطر لها، فعنقه أبعد كل تفكير منطقى من رأسها، والتفت ذراعاه حوله تبادله العناق وكأن هذا أمر طبيعي.. أبداً.. لم تستجب يوماً لرجل هكذا.. كان الأمر فوري، غامر.. وارتقت يداها إلى رأسه تعثت بشعره..

وتدرك ساعتها فقط كم كانت تتوق لفعل هذا.
ونحرك فمه من رأسها إلى صدغها، فخدتها، ثم أذنها، وهمس:
- هل أنت واثقة أنك لا ترغبين بالدخول؟

نظرتك إلى الحياة مثيرة للإهتمام، والإعجاب.. لكنها ليست واقعية بالكامل.

- أنا.. لست أدرى ما تعني.

- لا.. لكن إذا استمررنا في رؤية بعضنا.. ستفهمي قريباً، تصبحين على خير فيونا.

بشكل حتمي.. أبقتها كلماته صاحبة تلك الليلة، إضافة إلى السرعة المذهلة التي وقعت فيها في جبه.. ولا شك لديها في هذا.. إنها تغرق.

وازدادت الأمور سوءاً بالنسبة لها.. كانت حفلة المكتب ناجحة.. ولو أن روبي انزعج من الأسئلة التي طرحت عليه، فهو لم يجد احتجاجاً. فيما بعد، وها سائران نحو سيارتها، شرح لها أنه لم يظهر نفاد الصبر، ولماذا يفعل الناس تظاهر اهتمامها به؟

عند السيارة، لم يعائقها، بل رفع يدها إلى شفتيه هامساً: - تصبحين على خير فتاتي الجميلة.. أنا فخور بك.. سأتصل فيما بعد.

مر أسبوع، أيام تحولت فيها إلى الإلتهاء أكثر فأكثر. وكان روبي باستمرار يحتل تفكيرها.. منذ نقلت الأثاث الفائض إلى منزلها الصغير، أصبح مكتظاً، لماذا لم تفكر بهذا من قبل؟ المكان أصغر من أن يستوعب أي شيء زائد. هكذا بقي لديها صندوق كتب في المطبخ، وصندوق مليء بأشياء أخرى في سقيفة الحديقة، وطقم طاولات قهوة صغيرة في الردهة الصغيرة، مما جعل استخدام الباب الأمامي مستحيلاً.

ابتعدت عنه، متذكرة أين يقف، ومتزعجة لافتراقه.. وجهها كان أحراً.. وأنفاسها متتسعة.. عيناه الخضراءان تلمعان بالإثارة والانزعاج معاً:

- عظيم! أنت لا تضيع وقتك! عناق واحد وتظن أنني أصبحت جاهزة لك؟

- أجل.. هذا بالضبط ما أظنه.. لماذا أنت ساخطة؟ أنت ترغبين بي!

لم تستطع التفكير بماذا ترد.. فهل ترغب به إلى هذا الحد؟ سأل بإصرار:

- ما بك؟ ألمست الفتاة التي تفعل ما يحلو لها، والتي تكره قيود المجتمع؟ الفتاة التي قالت أنها حين تحتاج إلى رجل، ستخرج وتجده لنفسها؟ يا إلهي! شيء ما في داخلها أخذ يتراءج ويضعف.. كم خسرت نفسها بسهولة.. ! لقد قالت له هذا.. بحرج حاولت الخلاص.

- ليس الأمر هكذا.

ضحكته زادت الأمور سوءاً:

- هاي.. تعالى إلى هنا.. وانظري إلى.. قلت أنظري إلى! حين فعلت كان يبتسم لها ابتسامة مختلفة، وعيناه لطيفتان مازحتان. ثم ضمها ثانية، لكن دون إثارة:

- دعينا لا نفترق متخاصمين.. إصح إلى قليلاً.. أنت صغيرة جداً.. وأجدك مبهجة، جذابة، جذابة جداً.. أفكارك وطريقة

- قلت لك .. أنا أعمل حين يملي عليّ مزاجي العمل . تصبحين على خير .

مر ما تبقى من شهر آب وهي تحس أنها على قمة العالم . كان روبي بهم بها جداً، لا يصل إلا ومعه هدية، شوكولا ، حلوى أو زهور .. لكنه كان يتعمد أن يبقى مبتعداً عنها .. حتى أنها وصلت إلى مرحلة معرفة الرجل ، أو على الأقل ظنت هذا .. لكن دون أن تعرف تاريخ حياته . ودخل أيلول إلى منتصفه قبل أن ينق أخيراً ليخبرها وقائع وظروف ماضيه ، حاضره ، ومستقبله .

كان هذا يوم إتصل بها صباح السبت ، حين وعث تماماً ذلك التغيير الذي كان على وشك الحدوث في علاقتها ولم تكن عادة تشاهده في نهايات الأسبوع ، ونادراً يوم الجمعة ، كانت تعرف أنه يسافر .. لكنه لم يذكر لها هذا يوماً . أحياناً كان يسافر يوم الجمعة ، وأحياناً يوم السبت باكراً .. لذلك حين إتصل صباح ذلك السبت ، ومن منزله «روسدايبل» عرفت ما هو قادم :

- أنا في المنزل .. لا يأس لو أتيت إليك؟

- بكل تأكيد .. تعال إلى الغداء ..

ساد صمت قصير ..

- فكرت أن أجئك باكراً .. حوالي العاشرة .. و .. فيينا .. لن أكون لوحدي .. هناك شخص أريده أن تقابلية .

كانت تعرف .. تحس بهذا منذ زمن طويل :

- عظيم ! سأكون مسرورة .. أراك إذن ..

كانت في مشغله حين وصل روبي .. مع طفله .. صبي في

كان الوقت بداية آب حين اتصل روبي بها .. يعتذر لغيابه ، شارحاً أنه كان مشغولاً بترتيب المنزل .. وقال لها :

- ما رأيك بقضاء يوم غد معي ؟

كل ما استطاعت أن تفعله هو الجهد في أن تخفي غبطتها :

- ألسنت مشغولاً ؟

- أجل .. لقد بدأت بتسجيل النقاط الأساسية لبحثي .. وهذا هو السبب الأساسي لعدم اتصالي بك .. لكنني مضطر للسفر إلى بيرت في الغد لمراجعة بعض الدراسات .. وظنتك قد تهتمي بالمحجي «معي» .

- حسن جداً .. لم لا ؟ فالطقس جميل !

لكتهما كانا خطنان ، فالسماء كانت غطراً بشدة .. مع ذلك ، كان اليوم رائع بالنسبة لفيونا .. وبدا روبي أنه متمنع بيومه كذلك .. أمضيا وقتهم في مكتبة الجامعة ، ثم في المتحف .. ثم تناولاً الغداء ، والعشاء في طريق العودة ، وكانت الساعة العاشرة حين أوصلها ، والسماء لا زالت غطراً .. وأوصلها إلى الباب الخلفي . وقالت معلقة :

- لقد وجدت نفسي محترارة بالأثاث الإضافي .

- ربما عليك أن تجدي منزلاً أكبر .

- بالتأكيد لا .. سأتدبر أمري .

تركها تدخل ثم ودعها فوراً :

- لا شكر ، لا قهوة .. يجب أن أعود إلى عملِي .

- الآن ؟ لكن الليل سيتصف قبل أن تعود إلى منزلك .

- ثلاثة صناديق، كلها مربوطة بالحبال.. ولم يتركني أبي
أفتحها.. قال إنها خاصة.

نظرت إلى الطفل، تعرف تماماً من أين جاء هذا الذكاء. هل
كانت أمه ذكية أيضاً؟ وأكمل سؤاله:

- ماذا كان فيها فيونا؟

- لست أدرى.. لكنني سأقول لك لو وجدت فيها شيئاً مثيراً.

- هذا يعني أنني سأراك ثانية؟ أنا مسرور بهذا! فقد أحبتك!

- توب.. أنت لا تعرفني بعد!

- لا يهم.. فأنا أعرف أنني أحبتك.. هل أستطيع المجيء مرة
أخرى، حين يأتي بي والدي إلى منزله؟

- طبعاً.. وستخيب أملِي إذا لم تأت.

تحول انتباذه إلى ما حوله، ثم نظر من النافذة المطلة على الحديقة
ليجد البركة.

- هل هناك أسماك في البركة.

فتحت فيونا له الباب الزجاجي؟

- لماذا لا تذهب وتقتفي؟

حين ركض توب إلى الخارج، إستدارت تواجه أبوه:

- لماذا؟

- أنا.. لست واثقاً.. حقاً.

- هذا ليس بالردا

- أعرف.. لكنها الحقيقة.

الرابعة من عمره.. وماذا تعرف عن الأطفال؟ من النافذة الفوقية
راقبتهما، بقليل من التوتر.. وانجذبَت إلى السلم تدعوه الله أن
تمكّن من التعامل مع الموقف كما تزيد أن تعامل.

ابتسمت فيونا، تسارع القول:

- مرحباً.. كنت أنتظر لقاءك أيها الشاب. وأنا مسروقة
لجميتك. مد الطفل يده روقار.

- مرحباً.. أنا توب، لكن الجميع يناديوني توب.. أنا في
الرابعة والربع من عمري.

صافحت يده:

- كيف حالك؟ أنا فيونا.. وأنا في الثانية والعشرين وثلاثة
أرباع.

ساعتها فقط نظرت إلى روبي.. والتقت عيونهما وتشابكتا،
تظهران الإهتمام الذي لم تستطع إخفاءه.. لماذا؟ لماذا انتظرت
حتى الآن؟ إذا لم تكون قادرة على أن تأتي به، فعل الأقل كنت
تخبرني عنه.. وردت عيناه.. أنا آسف، حقاً، أنا آسف..
سأشرح لك.. إمنحيني الوقت. وقال توب:

- لدينا مفاجأة لك.. شيء لا تعرفي عنه.. لكننا لم نأت به معنا.

قال روبي:

- لا شيء مثير.. محتويات العلبة في روسدائيل.. فأنتم لم
تفكري بالتفتيش هناك.. أليس كذلك.

- لم أكن أعرف أن هناك شيئاً في العلبة...

قال لها توب:

لكن الدخول إلى روسدائل، لم يزعجها أبداً.. لكنها واجهت صدمة.. فالمنزل لم يكن غير مرتب فقط، بل تسوده الفوضى.. على أرض غرفة الجلوس تنتشر الكتب، والمجلات والتسجيلات، عدة فساجين وأكواب، عدة أزواج من الأحذية ومنافض السكائر..

- يا الله السماء! ما هذا؟

ما هذا؟

ضحكـت علـيـه :

- هذا . . هذه الفوضى القدرة !

هز کتبیہ:

- أوه.. هذه.. أعتقد أنك محققة.

كان المطعم أسوأ بكثير.

- روی: . إذا كنت مضطرباً للعيش على الطعام المعلب فعل

الأقا، أرمي، العلب في سلة المهملات حين تنتهي، منها!

نک، کلامها ساخن‌آ، کلمه کلمه، دون شفقة أو رحمة .

- حسناً . أنا نقاقة . أنت تحتاج إلى مدير ة منت ل .

- وكيف سدو الطابة، الأعلا؟

- أصعد، و ألفم، نظرة.

ما كان غرفتها أصبح الآن غرفة توي، يحتملها دبّان كبيران، وأكثر من دليل على أنها أصبحت غرفة طفل. وما كان غرفة أبيها أصبح غرفة روبي، وغرفة الضيوف مكتبه.

جلس الى الكرسي والتوتر باد على جسده.. وقالت:

- لا يهم . . لقد خصمت هذا على أي حال .

- أعرف.. لكن الأمر يهمني.. إجلس في هنا.

- لا أستطيع .. أريد مراقبة تويي ، فالبركة عميقه وستشكل خطر
على من في مثل سنه .

- وما هذا؟! . . يروز غرين الأمومة؟

- دیما. . انه طفلا، رائعاً روی.

- شكر الله، لكنني لا أستطيع إدعاء الفضل كله.

- أين يعيش؟ ومن يعتني به؟

- مع حدبة، والدأ أمه.

- آخر الله، ولدي، أشياء أنسنها في المطبخ.

كانت زيارة ناجحة.. بقيا عندها حتى وقت متأخر من بعد الظهر.. واستجيب دعائهما، وتمكنت من التعامل مع الموقف كما ترغب أن تتعامل، حتى أفضل..

قال لها روى:

- سأراك يوم الثلاثاء. سأعيد توبى إلى جديه في الغد. وسأعود مساء الاثنين متأخراً. أتريدين أن أحضر لك تلك الصناديق إلى هنا؟

- لا.. فسأذهب إلى «نورثم» يوم الثلاثاء بعد الظهر.. أريد التبضع، ورؤيه كيف تسير الأمور مع جيم.. وسأزورك حين أنتهي.. إذا كان هذا يناسبك.

- بالطبع ، كنت أظنك لن تدخل ذلك المنزل ثانية .

المنزل الذي عشت فيه في «آلني» على ساحل الهايدي..
حين التقينا بجاميلا، كنت في رحلة دراسية إلى لندن. ولم أدرك
أنني أحببها إلا حين عادت إلى أستراليا. وأدركت أنني لن
أستطيع العيش دونها.. وعدت إلى آلني لا تصل بها بعد يومين
وأطلب الزواج منها.

صمت طويلاً، ففتحت فيوна.

- روبي؟.. إتصلت بها لماذا؟

- قبلي.. ثم تزوجنا، وأمضيت معظم حياتي معها في
إنكلترا.. وشتريت منزلًا هناك.. وهذا كل شيء.

ابتسمت:

- هذا بالكاد يكون نهاية قصة.. أكانت تعمل؟

- ليس بعد الزواج. كانت تعمل مع والدها.. ودرست
الأدب والتاريخ في كامبردج، لكنها لم تكن طموحة، أبداً..
كانت تحب القراءة، تحضي معظم وقتها تقريباً، وتحب الطبخ،
وركوب الخيل، والإبحار.. وكانت الحياة رائعة لنا.. لكنها
ماتت حين كان عمر روبي خمسة أشهر.

ورأت الألم في عينيه، وأحسست أن الله ألمها:

- آسفة جداً روبي.. ماذا حدث؟

- حادثة.. مصادفة.. إحدى تلك الحوادث المجنونة التي لا
تصدق.. تعثرت عن السلم..

- يا إلهي..

- فقدت وعيها، ولم تستعد بعدها.. بقيت في المستشفى

- لماذا اخترت العمل هنا؟ هناك مكتبه في الأسفل.
- هذه الغرفة أكبر.

الصناديق! كادت تنسى.
رد على سؤالها:

- نفقت الغبار عنها ووضعتها في خزانتي.

- لا شك عندي أنها مليئة بالخردة.. ما الذي جعلك تفتش
العلبة؟

- إنه توب، لقد لمح الباب المفضى إلى السطح، وبإمكانك تصوير
الباقي.

- روبي.. لماذا لا تخبرني عن نفسك.. تخبرني حقاً عن نفسك!
تقى بي لأجل السماء.. وسأشعر بالغرور لو ثقتك بي.

- أتف بك؟ أوه فيونا.. الأمر ليس مسألة ثقة.. الأمر..
حياتي كلها فوضى أ
بهدوء قالت له:

- بإمكانك البدء منذ البداية روبي.. أرجوك.
مررت لحظات دون أن يتكلّم.. كان ينظر إليها دون أن
يراهما.. ثم مد يده إلى علبة السكاكي ليشعل واحدة ويجلس:
- البداية.. زوجتي إنكليزية، التقينا في لندن وكانت في الثالثة
والعشرين.. وكانت في نفس العمر تقريباً.. والداي، ومعظم
عائلتي، كانوا يعيشون هنا في أستراليا، لكن في ملبورن، حيث
ولدت.. لكنني كنت أرغب في الإبعاد عن المدن، لأخلو إلى
دراساتي وأبحاثي، وحين أدرك أبي كم أنا جاد في هذا إشتري لي

يجد صعوبة في قيادة سيارته مثاث الأميال لحضور حفلة.. لكن بالنسبة لحمواني، يجب أن أفعل شيئاً بحلول السنة القادمة.

- السنة القادمة؟

- أجل.. يبلغ توبي الخامسة سيداً المدرسة.. ولن أتمكن من الانتقال من منزل إلى آخر. ويجب أن أقرر هل أبقى هنا أم أعود إلى إنكلترا.. فلا زال لدى منزلي هناك، وربما يجب أن أتزوج ثانية.. لكنني لا أعرف ما أريد، لكن الزواج قد يحل الكثير من مشاكلـي.

يا إلهي.. بالكاد يفكر بالزواج مع الدوافع الصحيحة! لكنها لا تستطيع منع نفسها من التفكير كيف ستكون الحياة معه! وأجررت نفسها على قول شيء لنفسها:

- هناك بديل، كما قلت لك سابقاً، إحصل لنفسك على مدبرة منزل.. تعيش معك.. وأنا مندهشة لماذا لم تفعل هذا من قبل.

- لست واثقاً أن الفكرة تعجبني.. أما الزوجة فستكون...
ابتسـم، لأول مرة هذا اليوم؟

- أيسـتهـويـكـ الدـورـ؟

كان صعباً جداً أن ترد عليه بطريقة عفوية، وسألـتـ:

- دور ماذا، زوجـةـ أمـ مدـبـرـةـ منـزـلـ؟
ـ كـلاـهـماـ.

كان يمازحـهاـ.. لكن لا فـكـرةـ لـديـهـ كـمـ يـؤـلمـهاـ هـذـاـ.. وـقـالـتـ
ـ تـغـيـرـ المـوـضـوـعـ:

ـ تسـعةـ أـيـامـ.. وـمـاتـ.. مـاتـ دونـ أـنـ تـسـتفـيقـ.

ـ أـرـادـتـ يـائـسـةـ أـنـ تـسـرعـ إـلـيـهـ، تـضـعـ ذـرـاعـيـهاـ حـولـهـ لـكـنـ شـيـئـاـ
ـ مـعـهـاـ، شـيـءـ فيـ مـزـاجـهـ قـالـ لـهـاـ أـنـ لـاـ تـفـعـلـ..

ـ وأـكـملـ يـهـدوـهـ:

ـ أـتـذـكـريـ يـوـمـ إـلـتـقـيـتـ.. وـقـلـتـ لـكـ أـنـيـ أـفـهـمـ مـاـ تـشـعـرـينـ
ـ بـهـ.. كـانـ هـذـاـ صـحـيـحـ. كـنـتـ أـعـرـفـ الصـدـمـةـ التـيـ تـمـرـيـنـ بـهـ..
ـ يـلـزـمـكـ وـقـتـ لـتـتـغـلـبـ عـلـىـ أـلـكـ وـحـزـنـكـ.. وـأـظـنـكـ فـعـلـتـ هـذـاـ
ـ بـشـكـلـ يـشـرـيـ الإـعـجـابـ.

ـ لـكـ أـمـرـ خـتـلـ، أـنـاـ خـسـرـتـ وـالـدـايـ.. أـمـاـ أـنـتـ فـخـسـرـتـ
ـ زـوـجـتـكـ، أـمـ طـفـلـكـ! أـمـرـ خـتـلـ.

ـ أـعـتـقـدـ هـذـاـ، فـلـقـدـ مـرـ أـربعـ سـنـوـاتـ عـلـىـ موـتـهـاـ وـلـمـ أـسـطـعـ بـعـدـ
ـ تـرـتـيبـ حـيـاتـيـ.. وـأـتـلـقـيـ دـفـعاـ لـأـنـ أـتـزـوـجـ ثـانـيـةـ..
ـ مـنـ؟

ـ عـائـلـتـيـ.. أـنـاـ أـتـصـلـ بـهـمـ باـسـتـمـراـرـ.. لـدـيـ شـقـيقـانـ،
ـ وـشـقـيقـةـ، كـلـهـمـ مـتـزـوجـونـ، وـكـلـهـمـ لـدـيهـمـ أـلـاـدـ.. وـلـدـيـ كـذـلـكـ
ـ صـدـيقـانـ حـيـمانـ.. كـلـهـمـ يـسـتـمـرونـ فـيـ القـوـلـ لـيـ بـأـنـ أـجـدـ زـوـجـةـ.
ـ حـتـىـ وـالـدـ زـوـجـتـيـ، سـأـلـيـ أـخـيـراـ مـاـ إـذـاـ كـنـتـ أـفـكـرـ بـالـأـمـرـ..
ـ بـالـطـبـعـ إـعـتـمـدـتـ كـثـيرـاـ عـلـىـ أـنـسـبـائـيـ، وـهـذـاـ غـيـرـ إـنـصـافـ لـهـمـاـ.
ـ يـعـيشـانـ الآـنـ عـلـىـ بـعـدـ نـصـفـ سـاعـةـ مـنـ مـتـزـلـيـ فـيـ «ـآـلـيـ»ـ.. وـهـمـاـ
ـ يـأـخـذـانـ توـبـيـ لـأـرـبـعـةـ أـيـامـ فـيـ الـأـسـبـوعـ لـأـسـطـعـ أـنـ أـعـمـلـ، لـهـذـاـ
ـ أـعـوـدـ فـيـ تـهـاـيـاتـ الـأـسـبـوعـ مـنـ هـنـاـ إـلـىـ هـنـاـ لـأـعـطـيـهـمـاـ رـوـبـيـ.

ـ لـيـسـ مـشـكـلـةـ.. فـأـحـدـ أـشـقـائـيـ يـمـلـكـ مـزـرـعـةـ فـيـ الشـمـالـ وـلـاـ

الدموع تهددها:
- إنها حسابات قديمة وملفات للعمل. أتظن أن علي الإحتفاظ بها؟ إنها تعود إلى أيام جدي.
- لا.. إنها لا تهمك.. وأعتقد أن عليك سؤال جيئ ما إذا كان يريد الإطلاع عليها أم لا.
- لو أن لها أهمية، لأبقاها أبي في المكتب.
الصندوق الأخير.. جعلها تبكي.. وفي أي وقت آخر، ربما لم يكن سيسبب لها البكاء، لكن كل ما قاله روبي عن زواجه من المرأة التي أحبها كثيراً، جعلها تكون ضعيفة معرضة.
- إنها كتبى المدرسية.. لا أصدق!
واحتوت الصندوق على الدفاتر والتمارين، الامتحانات ونتائج السنوات الأولى من دراستها.. حتى أول دفتر كتبته بقلم الرصاص، وأول شغل إبرة لها.
والتفت ذراعاً روبي حولها.
وكان هذا بالضبط ما تحتاج إليه، وتمتن:
- ضمني إليك بشدة.. . بشدة.. أرجوك! وأقبل ذراعاه حولها وهم جالسان على حافة السرير بعد قليل تحركت، تعلمه أنها أصبحت بخير الآن.
- أنا آسفة.. الأمر فقط أنتي...
- أعرف.. أفهمك.
- أوه.. روبي.. أنت رجل رائع.. دون تفكير قبلت هذه، وكأنما تعطي متنفساً لكل المشاعر في

- الصناديق.. نسيتها تماماً.. لماذا لا تخضر لنا فنجان قهوة ثم نلقي نظرة عليها؟
- فهمت. فهذا لم يكن أمهير تغيير للموضوع شهدته منك!
إبحثي فيها، فقد تكون محتوياتها...
- مليئة بأسرار مظلمة؟ هيا الآن، أرنى أين هي!
كانت الصناديق في خزانة في غرفة نوم روبي.. أخرج لها الصغيرة أولاً، وضعها على السرير، وجلست فيوناً إلى جانبها ففك الحبل من حولها، لكن اهتمامها انجدب إلى الأكبر حجماً التي كان يسحبها.. فقالت:
- سأبدأ بالكبيرة، الديك سكين أو شيء؟
عاد بمقص، لكنها كانت قد فكت الحبل عن الكبيرة وفتحتها.. كانت تحوي على ثوب عرس أمها، مختوم في كيس بلاستيكي.. قديم الطراز لكن سليم دون أي اهتزاء فيه.. راقبها روبي وهي تفتح الكيس، وترفعه إلى الأعلى مع ياردات من الدانتيل والشبك الحريري حتى غطاء الرأس كان موجوداً، وزوج من القفازات البيضاء.
- فيونا!
- أنا بخير..
لكنها في الواقع كانت على شفير الانفجار باكية.. لكن الوقت غير مناسب للبكاء..
- سأذهب لأحضر تلك القهوة..
حين عاد، كانت تفتش في محتويات الصندوق الثاني ولم تعد

- أعرف.. لكتني لم أدرك أن الأمور...
- أخرجني من هنا أرجوك.. إذهب إلى المطبخ واصنعي لنا
قهوة طازجة.. كيف يمكن أن تفعل هذا بي؟
خرجت فيونا قبل أن ترد، خجلة، ممرجة، تحبه أكثر، لكنها
كرهت غضبه منها، وهي تفتح الباب سائلاً:
- قهوة مع السكر والخليل؟
ورماها بوسادة.

حين لحق بها إلى المطبخ، كان كل أثر للتوتر قد تلاشى.. وقال
لها بهدوء:
- أريدك التفكير بعرضي لك.. إما مدبرة منزل أو زوجة.. لم
أكن جاداً جداً.. لكن بتفكيري مجدداً، تذكرت أنك قلت لي يوماً
أن أهم مقومات الزواج في نظرك هو التوافق.. ففكري بنا..
منفردين ومعاً.. فالتوافق موجود، فكري بطريقة حياتك
وحياتي.. يمكن أن ننجح..
كانت تحدق به ذاهلة.. أيعرض عليها.. الزواج؟

بهدوء، قالت، وببرود:

- لا يمكن أن تكون جاداً!

- أوه.. أنا جاد فعلاً.. لا.. لا تقولي شيئاً الآن.. فكري
بالأمر.. انتهى الكلام في الموضوع الآن، وانزععي ذلك الإبريق
من الكهرباء.. فسنخرج الآن.. هيا بنا أنا بحاجة إلى هواء نقى.

☆ ☆ ☆

وصل ضيف فيونا في نهاية الأسبوع، كان روبي مشغولاً في

نفسها.. وهذا ما قادهما إلى المزيد.. ما هي إلا لحظات، حتى
استلقى روي على السرير، لا يزال يمسك بها، ليمدد جسدها
عليه.. الهجوم على أحاسيسها كان كثيفاً وسريعاً.. كان هناك
عطره، وعطر الفراش الذي ينام عليه، ولمسة شفتيه على جبينها..
ثم أصبحت هي المطالبة.. تنضم إليه بشوق، ويداها تتدان إلى
عنقه، بينما يداه تستكشفانها.. وأحسست بالإرتياح للمسه،
ملمس عضلاته الضخمة، وظهره الناعم المستقيم..
- أوه.. فيونا.. يا إلهي! كم أريده.

مع تصاعد سعادتها.. سمعت صوتاً.. شيء من بعيد، لكنه
يزداد ارتفاعاً.. كان صفاررة سيارة إسعاف أو سيارة بوليس.. لا
 مجال لأن تعرف، لكنه من وتلاشى بسرعة.. لكنه كان يكفي لأن
تدرك أين وصلت بهما الأمور.. إنها على وشك الاستسلام له..
وهنا.. من بين كل الأماكن! على فراش والديها، وفي وضح
النهار.. وقالت بلهفة:

- روي.. دعني.. أرجوك!
- فيونا...

- أرجوك.. أنا لا.. هذا كله خطأ.. أشعر..
جذبت نفسها منه مبقية ظهره إليه.. كيف يمكن أن تقول له
كم أن هذا كله غلط.. وكيف تشعر، بهذا كله لن يكون له رنة
تعقل بالنسبة له.

أمسك كتفيها، وأدارها نحوه:

- للإيضاح فقط.. لم أكن أنا من بدأ هذا السيناريو!

روي.. جيل جداً.. وقال بطفف:
- كل شخص له أم حبيبي.. لسوء الحظ، لا يمكنها دائمًا أن تبقى معنا.

- وهل ذهبت أمك أيضًا إلى السماء؟ دادي قال لي هذا.
مضى على عودتها إلى المنزل مع توبى ساعة، وكانت تغسل وجهة طعام حين وصل روي، وأصر أن يساعدها. وقال توبى معلقاً على عملهما معاً موجهاً الكلام لفيونا:
- كنت أفكـرـ . لو تزوجت دادي سيكون الأمر رائعاً .
بإمكاننا أن نعيش معاً في منزل واحد، وستكوني أمي .. يعجبني هذا.

طارت عينا فيونا إلى أبيه .. لا شك أنه لم يضع هذه الفكرة في رأس الطفل؟ ليس قبل أن يتناقشا بكل الأمور؟
دون كلمة .. قال لها بصمت .. أقسم لك أنتي لم أقل له
كلمة .. وأكمل توبى:

- دادي؟ لماذا لا تقول شيئاً .. ؟ أليست فكرة جيدة .. ؟
قالت فيونا:

- أنا عندي فكرة جيدة .. لماذا لا تنام في سريري الليلة؟
إنها بحاجة للحديث مع روبي، والليلة .. لا يمكن الانتظار أكثر من هذا.

ما أن استقر الصغير في الفراش حتى نزل معاً إلى غرفة الجلوس الصغيرة .. وقال لها.

- جدة توبى تحسنت صحتها كثيراً .. واقتربت علي أن أغبده

التحضير لسيناريو مسلسل لكتابه الثاني الذي سيعرض على التلفزيون .. بينما كانت جدة روبي مريضة .. ولم يجد بدلاً عن الطلب إلى فيونا استقباله. كان من الأفضل لو يتبدل المكان، فمع ثياب توبى، وسريره القابل للطي في غرفة الجلوس، أصبح منزلها مكتظ فعلاً .. لكنها وتوبى تخطيا العقبات كان طفلـ رائعاً .. لا يسبب لها المتاعب أبداً .. وأحبـتـ أن يكونـ معـهاـ .. خلال الأسبوع الأول، كان «يساعدـهاـ» في عملـهاـ، مذهبـاـ بما فعلـهـ، ومحاـولاـ تقلـيدـهاـ .. وفي الأسبوع التالي، جاءـ والـدـهـ، ليـقـيـ معـهـ، بينما ذهـبـ لتـسلـمـ بعضـ الـطـلـبـاتـ للـزـبـائـنـ .
حينـ أـصـبـحـ تـوبـيـ قـلـقاـ قـلـيلاـ فيـ الأـسـبـوـعـ الثـالـثـ، أـلـبـسـتـهـ ثـيـابـاـ سمـيـكةـ وـتـرـكـتـهـ يـخـرـجـ لـيـلـعـبـ فـيـ الـحـدـيـقةـ وـأـخـرـجـتـهـ مـعـهـ فـيـ نـزـهـاتـ فـيـ السـيـارـةـ، مـدـرـكـةـ حاجـتـهـ إـلـىـ حـوـافـزـ جـدـيـدةـ، وـتـغـيـرـ لـلـمـنـاظـرـ .. يومـ الأـرـبعـاءـ سـأـلـ:

- متـىـ سـيـعـودـ وـالـدـيـ لـيـرـانـاـ مـجـدـداـ؟
- هـذـاـ المـسـاءـ حـبـيـبيـ .
- قـبـلـ أـذـهـبـ إـلـىـ النـوـمـ؟
- طـبـعـاـ! لـاـ تـسـتـطـعـ أـنـ تـرـاهـ وـأـنـ نـائـمـ .. أـنـسـتـطـعـ؟
ضـحـكـ لـهـذـاـ وـقـالـ:
- أـنـتـ مـضـحـكـةـ فيـونـاـ! أـكـثـرـ مـنـ جـدـتـيـ .. أـنـهـ لـاـ تـنـصـرـفـ بـمـرـحـ مـعـيـ مـثـلـماـ تـفـعـلـيـ .. لـكـتـشـيـ لـاـ أـظـنـ أـنـ وـجـودـ الجـدـةـ مـثـلـ وـجـودـ الـأـمـ .. لـمـ يـكـنـ لـيـ أـمـ .. لـذـاـ لـاـ أـسـتـطـعـ أـنـ أـعـرـفـ.
أـوـقـتـ فيـونـاـ السـيـارـةـ، تـبـلـعـ الـقـصـةـ فـيـ حـلـقـهـاـ .. يـاـ اللهـ! إـنـهـ مـثـلـ

يوم الأحد.

وقفت بحده:

- لكن.. لقد وقعت في حبه.. روبي! و كنت تعرف أن هذا سيحدث.. أليس كذلك.

- بالعكس، كان يمكن أن يزعجك.. وأستطيع القول أن هذا يريحني.

- سأتزوجك روبي.. فهذا أمر منطقى جداً.. أنت وأنا متناسبان وهذا واضح جداً.. بإمكانى العمل في أي مكان، مثلك تماماً.. ولست مضطرة للعيش هنا.. أنا مولعة بك، وأظنك مولع بي.

لم يظهر شيئاً عما يجري في رأسه.. ثم قال بهدوء:

- مولع بك؟ أجل.. أستطيع قول هذا.
سألت.

- متى؟ وأين؟

- في أي وقت مناسب.. هنا في نورثم.. وهناك سبباً لهذا أصدقاءك هنا... و... حسناً.

- أوكى.. أستطيع أن أقولها أفضل منك.. فليس من اللياقة أن يكون حواك موجودان.

- لست واثقاً من هذا فيونا.. سأشتيرهما.. إذا كانا يرغبان..

- ربما.. ولا مانع لدى، وأضن أن هذه ستكون إيماءة رائعة لهما.. قدمتى لهم أولاً.. بدل تقديمى كزوجة.

وتشاركا في نقاش طويل وأقنعت فيونا الجزء من نفسها الذي لا زال معارضاً.. لا زال غير راضي.. مرة واحدة طفا إلى السطح، ليستجيب بلحظة ذعر حين قال:

- فيونا، إما أن تكوني جاهزة للالتزام أولاً.. أمامنا الكثير من التفكير.. لو فكرت فقط..

أفكرة؟ يا الله! لقد فكرت حين قلبت تفكيرها رأساً على عقب.

- أنا مستعدة روبي.. أردت فقط أن أتأكد من الزواج.. لأنني أخذته على محمل الجد.. ضمن وجهة نظرى الزواج دائم..
نظر إليها مباشرة:

- ومن وجهة نظرى أنا أيضاً.. لكن بالطبع، لا تسير الأمور هكذا دائماً.. أليس كذلك؟

إضافة الى شخصين إفتقدت لهما، وهما من يجب أن يحضرها
الزفاف.

خرج العريس والعروس الى شمس كانون الأول الشاحبة ليجدا
نفسهما في مواجهة المراسلين ومصوري الصحف، اللذين كانت
كاميراتهم تبرق وتفاجنهما معاً.. ورفض روبي الإدلاء بأي
تصريح، مرافقاً فيونا الى السيارة المتظاهرة، قبل أن يستطيع
مصورهما الخاص إلتقاط بعض صور سريعة.

لاحظ روبي حزنها.. وعلم أنها تفكير بأبويها.. فأنمسك يدها
بشدة طوال المسافة من الكنيسة الى منزل جيم، ولم يقل شيئاً، ولم
يحتاج لقول شيء، ضد عمه، وفهمه يكفي. وضعت رأسها على
كتفه مررتاحاً لانتهاء المراسم، ومتوتة خائفة من المستقبل.
كان أمامها الكثير تنظمه، لها ولزوجها.. المنزل..
روسدائيل، طرح للبيع مجدها.. حسناً هذه بشرى سارة
للمحامين! وجيم سيدبر أمر البيع لصالح روبي، كاملاً مكملاً،
ومع شيء من الحظ، كما اشتراه تماماً.. وفكرت فيونا عشرات
المرات كم أن الحياة مجنونة.. وكيف تقلب الأمور.. هاهي،
متزوجة للرجل الذي باعه منزل أهلها، لتصبح زوجة وأماماً في مدة
لم تتجاوز الخمسة أشهر.. وكم بدا لها شهر أيار بعيد.. ذلك
اليوم المشمس حين دخل روبي الى مكتبتها يطلب رؤية المدير.
على الأقل ليست مضطرة للقلق حول منزلها، فهو مستأجر..
محتوياته كلها، مع طابعة روبي الآليكترونية، شحنت الى «آلبني» في
الصباح السابق، ليستقبلها هنا حاه، فهناك مساحة كبيرة في منزله

- ٣ -

البديلة

تزوج روبي وفيونا في قرية صغيرة وفي كنيسة صغيرة ما بين
مكان سكنها وببلدة نورث.. صباح أول يوم سبت من شهر كانون
الأول، قيل يومين فقط من عيد ميلادها الثامن والعشرين. رغبت
في الزواج في الكنيسة، وكان روبي سعيداً بهذا، تاركاً كل الترتيبات
لها.. والتزمت بالبساطة ببراءً من الفستان الأبيض الذي اشتراه
لحلل الاستقبال، الذي كان سيجري في منزل جيم وايت لإصراره
على هذا.

كان حفل تهنته بسيط، لكن كل أصدقاء فيونا كانوا هناك
إضافة الى موظفي مؤسسة أبيها، و، لكل سعادتها قريباً منها
على قيد الحياة توماس. كان قد وصل في بعد ظهر اليوم السابق من
«كانا قون» حيث يسكن.. ولم يحضر حوروي لكن إبنه كان
هناك، حسب رغبته، وكان سيعود مع صديق لروبي الى منزل
جدته، الآن روبي وفيونا كان سيدهان الى منزل «آلبني».
مضت المراسم بشكل مكتمل رائع.. لكنها تكونت بشيء من
الحزن لسبعين.. وكانت فيونا تأمل بالمزيد من مشاعر زوجها لها،

- أين سذهب؟

- هذا سري.. وسري لوحدي.. سذهب إلى مكان دافئ حيم وفخم. إلى فندق بالطبع.. أظن أننا نتأهل العناية بنا.. ألا تعتقدني هذا؟ ما آسف عليه أننا لن نتمكن من هذا لأسباب.. فهذا مستحيل..

- طبعاً.

فهي لم تتوقع شهر عسل من أي نوع.. ووعدها روي:

- سأعرض لك فيونا.. في السنة القادمة.. سننافر إلى إنكلترا لقضاء عطلة في متزلي هناك.. أريدك أن ترى المكان وأن ترى ما إذا كان من الممكن أن نستقر هناك، فبقدر ما أحب أوستراليا إلا أنني أشواق دائماً إلى بلدي الأصلي!

والد باميلا، هنري جيفسون، كان ساحراً مع فيونا لدى استقبالها في الشهر الماضي.. اعتنى بها بشكل خاص، وقام بأقصى جهده لجعلها تحس أنها في منزلها ومرحب بها.. وللإنصاف، هكذا فعلت الأم، إيلين، لكنها لم تنجح، فقد أحست فيونا باستيائها الدفين، ولو أنه مفهوم الأسباب، وخبا بحدور.. في حديثها مع فيونا ذكرت إيتها عدة مرات.. كانت تذكرها عرضاً دون أن تقصد الجرح، لكنها كانت تجرح، ومررت لحظة صعبة حين تبللت عيناً إيلين وهي تروي: بالأمس كانت سنوية موت باميلا.. أربع سنوات.. أعتقد أنك تذكرة هذا روي؟

منزل روي لا يمكن أن يكون أقرب مما هو إلى البحر، ولم يكن

لأشياءها، فحجمه صدم فيونا، وهي تنوی بكل تأكيد تحضير غرفة عمل لها. فالكثير من السياح يزورون آلبني ومنتجعاتها، ولن يكون هناك نقص في محلات الهدايا لتبيع مصنوعاتها.

التهانى، والتمنيات الطيبة، الحديث، والتقطاط الضيوف للصور. الطعام والشراب، الذي أجبرت فيونا نفسها عليه.. المزيد من الصور والضحك والمزاح.. وكان حفل الاستقبال عادياً بما يكفي وناجحاً.. هكذا غادراً منزل جيم ليغيروا ملابسهما ويأخذوا ما يريدان أخذها معهما من روسياريل، ويقفلوا الأبواب.. ويستقللا سيارة روي أخيراً بشيء من الإرثاح والتهييد.. ليتجها إلى الشرق نحو «كلغوري» ومنها جنوباً نحو «آلبني».. ومررت بضع دقائق قبل أن يتكلم أحد منهما.

ضحكت فيونا قائلة:

- لم أسمع من قبل بعروسان مرهقان خلال ساعات من زواجهما.

نظر إليها يرفع حاجبه:

- أخاولين قول شيء لي سيدة غارليس؟ إذا كان الأمر هكذا فقد أصبحت بالصمم فجأة.

سيدة غارليس.. سيدة روي غارليس.. لم تستطع أن تصاحك على ما قاله لتوه.. ولا بد أنه لاحظ تغير تعابير وجهها، فقد امتدت يده إلى يدها تطمئنها: لا تقلقي.. سنهرب من كل شيء ولبعضة أيام.. استرخي قليلاً.

لوحدتها.. وتوقفت مزهولة أمام الفراش الواسع الذي يحتل الغرفة. لم يكن بحجم ملوكى فقط، بل كان سبعة أقدام مربعة، داخل فجوة مقنطرة فوقها كليلة نصف دائرة من نفس قماش الغطاء الحريري.. الحمام كان من النوع الذى يتناوب مع زاوية وكبير بما يكفى لإثنين.. وقفت تنظر إليه وخيالها تجري يجنون. مبتسمة، وجزعة معاً، رفعت غالة النوم الحريرية اللامعة ورrob النوم المائل لها، مع أعلاه الذى لا وجود له تقريباً مع الدانتيل الذى يغطيه.. أوه.. لا يمكنها ارتداء هذا، فمن الأفضل أن لا ترتدي شيئاً.. هذا كثير! ستحس وهي ترتديه أنها تقصد الإغراء فقط!

سمعت رويا يناديها، فقد انتهت المخمس دقائق التي أعطاها لها قبل أن يصعد إلى الغرفة وقال:

- تعالى واسترخي.. فلنشرب سيكارا وشيئاً من العصير. كان ممداً على كرسي طويل في غرفة الجلوس التابعة للجناح، وقد تخلص من ستته وربطة عنقه، وفك أزرار قميصه العلية.. وانضمت إليه:

- ما بك هل كدرك شيء؟

- أبداً.. يا لها من فكرة رائعة، أن يكون في الجناح مدفأة بخار حقيقة!

أحاديث خفيفة، خفضت من توترها، مع أن رويا لم يلاحظ هذا.. شربا العصير، وتحدثا عن الفندق، عن حفلة الزفاف، حفلة الاستقبال، والطريق إلى هنا.. أي شيء.. وقال رويا

ما توقعته فيونا أبداً.. ف بعيداً عن التفكير به أنه كان يوماً بيتأ لباميلا لم تفكر به مطلقاً.. كان يبعد بضعة أميال عن أبعد منزل من آبني مبني على جانب جرف صخري، له ممر يقود إلى فسحة من شاطئ رملي، وجون صغير، خاص، وتابع للمنزل. بالقرب منه مساكب أزهار لم تستطع الانتظار لتضع يدها عليها.. في الخلف مرجة كبيرة تقطعها أحجات من شجيرات صغيرة ناضجة.. من خارج المنزل كان يبدو كونخا من جذوع الأشجار، لكن بحجم كبير، واجهته يغلب عليها الخشب. الغرف واسعة، مهوية، كلها بنوافذ كبيرة ومناظر رائعة.. الطابق الأرضي منقسم المستوى المطبع في المؤخرة، غرفة الجلوس تصل إلى البحر.. في الطابق الأول، أربعة غرف نوم، ومكتبة رويا في الطابق الثاني، حيث غرفتان آخرتان، وكلاهما كبير، وكلاهما فارغ.

كانا الآن يتركان الطريق الرئيسية.. وتمددت فيونا قدر ما تستطيع في السيارة.

- لا يمكن التوقف لفنجان قهوة في مكان ما روي؟
- بكل تأكيد، فالفندق يبعد ساعة بعد..
كان فندقهما منزل ريفي معزول، يقف لوحده ضمن مساحات واسعة من أراضي معتنى بها، تبدأ بطريق خاصة بعيدة عن الطريق العام.. من الداخل كان مرحباً، متمنكاً بطريقة ما أن يكون أنيقاً، بيتويا في نفس الوقت.. ورددت فيونا على ابتسامة موظفة الإستقبال، بينما وقع رويا باسم السيدة والسيد غاليليس. صعدت فيونا إلى غرفتهما، ممتنة للدقائق التي حصلت عليها

- أنت متواترة.. ولا داعي لهذا.
 - روبي ...
 - لا.. لا داعي لشرح شيء.. لا جدال، ولا عرض
 أسباب.. أني فقط وجبتك وكوني مرتاحه معك.
 - شكر للعشاء.. كلها أطباقى المفضلة.. لقد تمنتت كثيرا.
 حين انتهيا اعتذر!
 - عفوك لحظات.. لقد نسيت شيئا.
 عاد وعليه محملية صغيرة في يده، ودون قول شيء وضعها على
 الطاولة أمامها.. فتحتها باهتمام، تشهش حين شاهدت
 الوثثير.. الألماسي الجميل داخلها.
 - روبي.. لا يمكنني.. لا يمكنك..
 - بل يمكنني ويمكنك.. إنه خاتم زواجنا.. لم تتع لنا فرصة
 الخروج لشراءه!
 وكان يناسب إصبعها تماما:
 - إنه جميل.. كيف عرفت؟ لم تكن معنـي حين اخترت الخاتم.
 - لا، لكنـهم عرفوا مقاسـك في المحل.. وهذا شيء آخر عرفـته
 عنك.
 عاد السـافي ليـدخل لهـما القـهـوة ويـأخذ الصـحـون الفـارـغـة بـعـد
 أن خـرج، أـكمـل روـيـ:
 - هناك أشيـاء كـثـيرـة لا أـعـرفـها عنـكـ.
 - صـحـيحـ؟ مـثـلـ ماـذاـ؟
 - مـثـلـ ماـإـذـاـ كنتـ تـعـرـفـينـ الرـقـصـ.
 - الرـقـصـ؟ بـالـطـبـيعـ أـعـرـفـ؟ قدـ أـكـونـ عـشـتـ حـيـاةـ النـاسـكـ خـلالـ

آخرـاـ.
 - حـسـنـاـ.. سـأـخـذ دـوـشـاـ قـبـلـ العـشـاءـ. السـاعـةـ الـآنـ السـادـسـةـ،
 ولـقد طـلـبـتـ تـقـديـمـ العـشـاءـ هـنـاـ.. أـمـلـ أـنـ يـكـونـ هـذـاـ مـنـاسـبـ لـكـ؟
 - عـظـيمـ! يـاـ لـهـاـ مـنـ فـخـامـةـ.
 مـاـذـاـ تـسـتـطـعـ أـنـ تـقـولـ وـقـدـ أـنـعـبـ نـفـسـهـ إـلـىـ هـذـاـ الحـدـ؟
 - أـتـرـيدـيـنـ الإـسـتـحـامـ قـبـلـ؟
 - لا.. أـنـتـ أـولـاـ.
 حين خـرجـ منـ الحـمـامـ كانـ يـرـتـديـ رـوـبـ الحـمـامـ، وـرـبـماـ لـاـ شـيـءـ
 تـحـتـهـ:
 - الحـمـامـ لـكـ.
 - أـلـنـ تـرـتـديـ ثـيـابـكـ؟
 - وـلـمـاـذـاـ أـزـعـجـ نـفـسـيـ؟ سـتـتـنـاـولـ العـشـاءـ هـنـاـ.
 لمـ تـكـنـ تـقـانـعـ، فـهـذـاـ سـوـفـ يـحـلـ عـقـدـةـ التـوتـرـ فـيـ دـاخـلـهـاـ،
 وـيـسـاعـدـهـ عـلـىـ رـؤـيـةـ الـجـانـبـ الـمـضـحـكـ مـنـ الـورـطـةـ.. فـيـ الـوقـتـ
 الـذـيـ دـخـلـتـ فـيـ الـحـمـامـ كـانـتـ تـضـحـكـ.
 وـكـانـتـ تـضـحـكـ ثـانـيـةـ حينـ وـاجـهـتـ روـيـ أـخـيراـ، وـسـمعـهاـ
 تـتـحـركـ فـيـ غـرـفـةـ النـومـ.
 - أـهـ.. أـخـيراـ خـرـجـتـ؟ اـتـصـلـتـ بـخـدـمـةـ الـغـرـفـ مـنـ دـقـيقـةـ لـيـأتـواـ
 لـنـاـ بـالـعـشـاءـ.
 كانـ العـشـاءـ لـذـيـذاـ.. نـسـقـ روـيـ الـطـلـبـاتـ قـبـلـ وـصـولـهـماـ.. كـلـ
 طـبقـ كـانـ مـنـ الـمـفـضـلـ لـدـىـ فـيـونـاـ. وـأـخـذـ روـيـ يـتـفـرـسـ بـهـاـ وـعـيـنـاهـ
 الرـمـادـيـاتـ لـاـ تـظـهـرـانـ أـيـ أـثـرـ لـلـمـرحـ، وـمـدـ يـدـهـ لـيـضـعـهـاـ فـوـقـ يـدـهـاـ:

الضحك:

- أدركت لتوi، كيف يبدو منظراً، ونحن نرفض رقصات
ارستقراطية وأنت في الروب، وأنا في ثوب النوم؟

- سنبدوا سعیدین . . كل من ينظر إلينا سيرى أننا سعيدان .
- وهل أنت سعيد روی ؟

توقف عن الرقص، ليضمها قريبا منه، ومد يده يداعب
شعرها... وهى:

- أَجَلٌ . . أَجَلٌ يَا فَتَاقَ الْخَلُوَةِ . . . آنَا سَعِيدٌ .

أقفلت ما بينهما من مسافة لتدس ذراعيهما حول عنقه .. كل ما تبقى من التوتر يتلاشى .. إنها تريده، الآن، بالقدر الذي يريدها تماما .. بعد لحظة رفعها بين ذراعيه وحملها إلى السرير.

لكنه لم يكن مستعجلًا أبدًا.. أخفض صوت الراديو إلى أن أصبح بالكاد يسمع.. وأطفأ الأنوار قرب السرير يقبلها، وأحسست بالإثارة الفورية.. لكنه غسل معها، يأخذ وقته يداعبها يداه تستكشفان جسدها حتى لم تعد تحس بالزمان أو المكان، أو أي شيء آخر، ما عداه وعدا حاجتها إليه.. ولو كان في مقدورها الكلام لسألت كيف تمكنت من العيش طوال هذه المدة محرومة من هكذا سعادة.

كان روبي يضمها بشدة وهو يحس باسترخاء جسدها.. ثم قبلها بخفة، متظراً إلى أن تنتهي ردة فعلها.. وهي مغمضة العينين.

بعد ساعات، استيقظت.. الراديو كان لا زال يبث الموسيقى

السترات الأخيرة، لكن كان لدى سنوات مراهقة، وتمتع بها
كثيرا.

ضحك:

- ولا زلت هكذا.. ما أعنيه أتعربن الرقص على الطريقة
القديمة؟

وَقَتْ تَدْفُمُ كَرْسِيهَا إِلَى الْوَرَاءِ:

- أحب التحدى.. أرى أنك لا تصدقني.. قف على
قدميك!

الموسيقى المنبعثة من غرفة النوم كانت مكتملة للرقص وسألته متחדية:

- أفهم من هذا إنك تعرف الرقص .

فسبت أن رقصة كثيرة عليها، فقد كان رائعًا، رائعًا جداً..
 أمسك بها بطريقة عملية، بقوة لكن ليس بقرب، وقادها إلى خطوات لم تستخدمها منذ سنوات.. وقال عاز حا:

— فيـنـا! ظـنـتـكـ قـلـتـ أـنـكـ تـسـطـعـهـ الـقـصـاـ

- هاي.. أعطني دقيقه! لقد نسيت.. وأنت قلت أن رقصك
له طاز.

- هذا صحيح! وأنا أقص ماهي!

ضحكـت، لـكـنه لم يـرـ اـجـعـ:

المستقبل.. وربما سيتعلم حبها في يوم ما. أما الآن فلا وجود له، لقد عاشرها، وسيعاشرها مجدداً، ليس كتعبير عن الحب، لكن مجرد حاجة جسدية، وهذا واضح وبسيط.

هناك المترنل لتتدارس أمره.. والتقت إليه تسأله:

- روي.. سبق وقلت لك أني أريد شغلي أن يكون في الغرفة الكبيرة التي تطل على مؤخرة منزلك.

من هناك يمكنها مراقبة روي حين يلعب بالأرجوحة ويامكانها الإطلال على الغابة.

- إنه منزلنا فيونا.. منزلنا، وأنت لم تغيري رأيك في هذا؟

- لا.. و كنت سأشيف أني سأضع أثاث منزلي القديم في الغرفة المجاورة لها.. سأجعلها غرفة جلوس أخرى، موافق؟

- لست مضطرة للسؤال.. أنت سيدة البيت الآن، ويامكانك فعل ما شئت.

فكرت بالكلمات:

- سيدة البيت.. أظن أني ساعجب بهذه الكلمات.

- ماذا.. سيدة المترنل؟

مد يده يداعب كتفيها فامسك بها تضعها على المقدد.

- روي.. أحارول أن أخطط للمستقبل!

- هذا ما كنت أفكر به، القليل من المستقبل، مثل ماذا سأفعل بك حين نصل البيت.

لم يكن من السهل أن لا تضحك:

- أنا أقوم بخطيط جدي.. كنت...

والصبح منطفئ.. لكنها لم تتحرك.. نظرت إلى وجهها وابتسمت لتذكر الساعات التي مرت بهما.. لحظات وفتح روبي عينيه، فقبلته بخفة. عينيه، خديه، عنقه.. وابتداً الأمر من جديد..

كان الوقت صباح الإثنين، وهما متوجهان على الطريق الرئيسية إلى «النبي» إلى البيت.. وكان صباح يوم من أيام شهر كانون الأول المتجلد المطر.. حتى ساعات مضت، حين نزلتا لتناول الفطار في غرفة الطعام في فندقهما، لم يخطيا خارج الغرفة أبداً.. وابتسمت.. وكيف لها أن تمانع في هذا؟ بالطبع لم تمانع.. لكن.. من المهم أن لا تدع أي وهم يبدأ بالتكونين. فحتى خلال نوبات الهوى المشوب، ذلك الهوى الرايع، الذي تشاركاً، لم يتلفظ روي بكلمة حب أو دلال، كلمة واحدة، لم يقلها في مناسبات أخرى.. إذن فهو إغواء صادق.. مخطط له، مفبرك، لكن مع كل النية في إسعادها، في مساعدتها على الاسترخاء، في إبعاد توتركها عنها، كي تتمكن من الانجراف، ولقد انجرفت، لأن تتجاوب معه.

الفرق بينهما وبين أي عروسان جديدان هو أن خططيته ضروري.. فهو لم يكن متاكداً منها، لكن في ضوء زواجهما هذا التقدير خاطئ.. بكلمات أخرى لم يكن لديهما الحب يتتكلان عليه، فالحب عنصر رابط، الحب يجعل من الأعمال وردات الفعل شيءٌ آلي.. يجعل من خططيته ومن توتركها غير ضروريان.. حبها له غير معروف.. وسيبقى هكذا. انجدابه بها مجرد أمل يقع في

صمنت حين شاهدت وجهه مقطعاً:

- ما الأمر؟

- كنت أفكّر بحموائي: هل لا زال يحملان هذه الصفة بعد أن تزوجتني؟ أم أصبحا «السابقين»؟

- لست أدرى، على أي حال، ماذا عنهم؟

- هنري العجوز مغرم بك.. لكنني لست واثقاً من إيلين..
- موقفها مفهوم.

- لكن هل هو مفهوم لها؟ هل هو مفهوم؟ باميلا ماتت ولقد تفهمت أن هذا.

- أعرف.. لكن أمها تراني كمتطلقة، أكان هذا منطقي أم لا.. ولسوف آخذ منها حفيدها الوحيد.. لا تقلق، أنا نوعية مجهولة لها في الوقت الحاضر، وستكون على ما يرام حين تعرفي.. وأنك تفكّر منذ الآن بعيد الميلاد.. أليس كذلك؟

- أجل.. وسيكون من الصعب رفض دعوتها بما أنا في النبي.

كانت تعلم حين قبّلت الدعوة أنها امتحان لها، فلو رفضت لا تعتبر رفضها عدائي، ودليل على أنها ستتولى كل شيء كما تفعل أي عروس جديدة.. والأمر الثاني، البسيط أن إيلين تريد رؤية حفيدها.. والموقف لا شك صعب لروي كما هو صعب لإيلين.. وما من شك أنه كلما رأى حاته سيفكر بباميلا.. ولا بد أن يكون الأمر مؤلماً.

وصل المترد مع المغيب.. متزلها الجديد، لدهشتها كان دافنا

ومرتباً، فسألت:

- كيف يمكن أن يكون دافنا؟

- هنري فكر بالأمر، وكان هنا للاقاء الفنان الذي يحمل أغراضك.

- وأظن أنهم وضعوا أغراضي فوق؟ كما آمل؟

- لماذا لا تتصعد وترى.

كان هناك مفاجئة تنتظرها، نسخة مماثلة لغرفة عملها كانت هنا: رف العمل، والرفوف على الجدران، الجوارير، والأقسام المنفصلة عن بعضها.

- روبي.. لا أصدق هذا!

ابتسم لها:

- بل صدقه.. طلبت من صديقي جيف أن يفعل هذا..
ميلاد سعيد فيينا.

- وهل تذكرت؟ لم أكن واثقة أنك سترعرف.

- أكملت الثالثة والعشرين اليوم.. وبينما أنا يائس لفنجان قهوة، يائس أكثر لأنّه لا يدخل إلى الفراش، يا فتاة عيد الميلاد! مرت أجيال قبل أن يتناولا فنجان القهوة، والساعة تجاوزت السابعة، فسألت:

- متى ستأتي بروبي؟

- تجاوز الوقت موعد نومه، وقلت بحدته إذا لم أكن هناك في السادسة.. فسبّقني حتى الصباح.

تذكرت شيئاً فجأة:

- كيف يكون هذا المنزل نظيفاً مرتباً بينما روستايل كان قذراً وكله فوضى؟

- إنها السيدة داريل، التي تنظفه.. إنها سيدة جيدة.. وللأسف لا تأتي كل يوم.. فالمكان بعيد عن حيث تسكن.. تأتي مرة في الأسبوع، يوم الخميس، وتغipi اليوم كله.. بإمكانك تغيير الموعد إذا شئت، أو طردها إذا وجدت نفسك قادرة على العمل كله.

لم ترد عليه، علمت أنه يمزح.. إنه منزل كبير، والمساعدة مرة في الأسبوع أمر أكثر من مرحب به. وقالت:

- في الصباح، سأذهب لأخذ روبي، والتسوق في المدينة، وعلّ نطاق واسع، فالمنزل فارغ من أي طعام.

ضرب روبي جبهته:

- المال.. إنه أمر لم أستطع يوماً تنظيمه.. سأحضر لك دفتر شيكات لحساب مشترك.

- لدى مالي روبي..

لديها دخلها الخاص، ليس من بيع الحلئ فحسب بل من مدخول المكتب، الذي سيستمر إلى أن يتمكن جيم وایت أن يدفع الثمن كاملاً.. وقال بخفة:

- ألسنا محظوظان.. هذا يجعلنا اثنان؟ سأضع حسابي باسمك وإسمي، ويمكنك استخدامه لصرف البيت وأي شيء آخر ترغبه.. المال ليس عائقاً.. أقلت ما يكفي؟

هنري وإيلين جيفسون، كانوا في أوائل الستين.. كلامهما رمادي

الشعر، مفعمان بالحيوية، نحيلان، صغيراً الجسم، مما جعل فيونا تتساءل عن باميلا.. لا بد أنها كانت صغيرة الجسم، وربما أقصر من روبي بكثير، سوداء الشعر، فشعر روبي كان أسوداً كشعر أبيه.. فهل ساهمت عوامل الوراثة بسوداد شعره؟ وجدت طريقها إلى المنزل ببعض الصعوبة وضاعت مرة بالرغم من الخريطة المكتملة التي رسمها لها روبي.. واستقبلها هنري:

- هاه.. هذا أنت فيونا! بدأنا نعتقد أنكما قررتا تمديد شهر العسل!

- لم تفكري بمثل هذا!
كانت إيلين في أعقابه تبتسم بينما دخلت فيونا إلى الردهة، وقالت:

- أدخلني عزيزتي، لا تشعري بالإحراج لما قاله هنري.. شهر عسل حقاً!
نظرت إلى زوجها ساخطة.

- زواج فيونا من روبي زواج تناسب، هي قالت لنا هذا بنفسها.

لكن لم يكن هذا بالضبط ما قالته، ولم تستخدم أبداً كلمة زواج تناسب، وأكملت إيلين قبل أن تناحر لفيونا فرحة الرد:
- على أي حال عزيزتي.. كيف كان الزفاف؟ أرجو أن يكون كل شيء تم بنعومة.. أنت تفهمين سبب عدم وجودنا هناك، أليس كذلك؟ إنها مسافة طويلة حتى نورثم.
- أجل إنها مسافة طويلة.. وأنا أفهم.. ولقد تم الزفاف

بنعومة شكرالك.. أين توب؟

- إنه في المنزل المجاور، فالسيدة غارديان لديها حفيدها وهو في نفس عمر توب، وهم يلعبان معاً.

- هذا جيد.. هل أذهب لأحضره أم تفعلين هذا بنفسك؟ لقد تأخرت في الوصول إلى هنا، ولدي الكثير من السوق للكثير من الأشياء.

سألها هنري:

- بكل تأكيد لديك وقت لفنجان شاي؟

- أوه.. أجل.. شكرالك.

- إجلسي إذن، وارتاحي.

جلست فيونا لا تستطيع منع نفسها من أن تنظر حولها، واستقرت عيناهَا على صورة زفاف تحتل مكانها بفخر فوق رف المدفنة، ولاحظت إيلين هذا على الفور:

- هل ارتديت الثوب الأبيض فيونا؟

- طبعاً.. بذلك بيضاء، لا شيء فاخر.

وافت المرأة للتقاط صورة باميلا وروي وأعطتها لفيونا قائلة:

- ثوب باميلا كان فيه إثنان وعشرون يارداً من القماش.. لقد أوصت عليه خصيصاً.. وكان جيلاً.. ألا تظني هذا؟
- أجل، جيل.. وهذه صورة رائعة.

أعادت الصورة، غاضبة من نفسها، اللعنة، إنها تقارن نفسها، بصاحبة الصورة الآن.. وأضافت إيلين:

- لقد أبعد روبي كل صورة مع باميلا بعد أن ماتت، لم يتحمل

أن ينظر إلى الصور.. لقد كانوا سعيدين معاً.

عاد زوجها مع الشاي:

- بماذا تهذرين الآن إيلين؟

في صوته رنة تحذير بدت واضحة لفيونا.. وأجابت زوجته وكأنها تدافع عن نفسها:

- رغبت فيونا في رؤية ثوب زفاف باميلا.. وأنت لن تفهم هذا هنري، فالنساء دائماً فضوليات حول أشياء كهذه. خاصة في ظروف هذه.

تركت فيونا المنزل تحس بالكآبة، وإلى جانبها روبي، يهدى بسعادة، يتطلع شوقاً إلى مغامرة السوق معاً، يسأل إذا كان يستطيع المساعدة في دفع العربة في السوبرماركت مضيفاً:

- جدتي دائماً تسمح لي بهذا.

ردت بحذر:

- أجل، يمكنك دفع العربة، وسأكون مسرورة لمساعدتك لي.. لكن.. روبي، هذا لا يعني أني سأسمح لك دائماً بأن تفعل أشياء كانت تسمح لك جدتك بها.

- أعرف هذا! وأنا أفعل معك أشياء كثيرة لم تكن تسمح لي بها.. أوه.. سيكون من الرائع أن تكوني أمّا لي! هل أنا لديك ماما الآن؟

- هذا عائد لك حبيبي.. لماذا لا تفك بالأمر قليلاً؟

بدأت فيونا تعتاد على أن يخاطبها الناس أينما ذهبت بالسيدة غارليس، خاصة خلال الأيام التي توصل إلى الميلاد، عاملة

وأمسك بخصرها مبتسمًا، ومكررًا:
 - معك حق! وسأحصل على نوم مرير حال أن أستطيع، كم
 الساعة الآن؟
 - السادسة، خمس دقائق بعد السادسة.
 - لهذا تبدو الدنيا ظلاماً في الخارج! لم أنت مستيقظة باكرًا؟
 ابتعدت عنه مبتسمة:
 - لأنني افقدتك... لم أر دليلاً على وجودك فوق الوسادة.
 - تعالى إلى هنا... سأصلح هذا على الفور.
 - لا... أنت مستيقظ الآن، ومن الأفضل أن تستخدم وقتك في
 شيء مفيدة!

- قلت تعالى إلى هنا، أنت أيقظتني أيتها الخبيثة، ولسوف أستغل
 الفرصة. تعرفين جيداً أنك دائمًا تلهيني... لا يمكنك الدخول إلى
 هنا، ترتددين قميصاً من قماشي، ولا تتوقعين أن يحدث أي شيء.
 - إذن سأشترى قميص نوم اليوم، ورrob، لطيف
 معتدل.

- من الفانيلا الآخر؟
 - إذا كان هذا ما يثيرك.

- لكنني أحبك بهذا القميص أكثر.

جاء الميلاد، ورأس السنة، ومضي، ليس بالسرعة الكافية
 بالنسبة لفيونا... يوم الميلاد مع أسرة جيفسون كان فظيعاً... كان
 روبي هادئاً، واضح أنه متعب ومتوتر، بسبب الساعات الطويلة
 التي يقضيها في وضع السيناريو لكتابه... كان قريب الإنتهاء لكن

التنظيف، والناس في المحلات في القرية القريبة، اللذين عرفوا من
 هي قبل أن تقول لهم... النبض في القرية لأشياء صغيرة عادية
 كان يناسبها أكثر من التبضع في المدينة.

اعتادت على هذا كما اعتادت على مغازلة زوجها لها كل
 ليلة... كان روبي يدخل إلى الفراش بعد وقت طويل من نومها،
 حوالي الثالثة أو الرابعة صباحاً، ويوقفها ببساطة بأن يضمها إليه.
 ذات صباح استيقظت لتجد نفسها لوحدها، فقلقت ونزلت تفتش
 عنه لتتجده ينام على الأريكة في مكتبه، لكنها لم تكن مرحة
 كالغраش.

لامست كتفه، توقيظه، وقالت:
 - روبي... ستبّع لنفسك أللآ في العنق وأنت تنام هكذا!
 ولم يكن يجب أن تقول شيئاً، ولا أن تصحبه، فقد وصلتها
 بسرعة، رسالة أنه يعتبر هذا تدخلاً:
 - هكذا أنا... أنا، أعمل وأعمل ولا أنام. أستلقى هنا
 لساعة، ويجب أن تحرمي هذا فيونا... أحياناً أتصرف حسب
 مزاجي، لكنني في الوقت الحاضر لا أملك خياراً، ولا يمكنني
 توفير وقت كثير للنوم.

تراجعت بلياقة، وفوراً... وهما متفاهمان جداً في هكذا أمور،
 ولا يحاولان الجدال، ولا يتغفلان على خلوة بعضهما البعض ولا
 على حرية أو نظام حياتهما.

- آسفه... ظننت فقط...
 - إنني بحاجة إلى نوم مرير... معك حق... .

لم ينته بعد، وهذا ما لم يرضه. كان لا زال بحاجة إلى بضعة أيام. إيلين وهنري، كانا قد تجشما متابعاً للتحضير: زينة الميلاد، شجرة كبيرة، ديك روبي ضخم مع كل المبتلات حوله.. عملاً معاً وبجهد على إتمام كل هذا، وسارعت فيونا لذكر هذا والتعليق عليه، وكان تقديرها لجهدهما صادقاً. وكان يمكن لليومهما أن يسر على ما يرام، لو لا الدقائق القليلة التي أفسدته في مطلع بعد الظهر.

كان الرجالان في غرفة الجلوس مع روبي، وكانت فيونا تخرج من الحمام حين واجهت إيلين، التي قالت باهتياج: - فيونا.. يجب أن أكلمك لوحشك.. الأمر حول.. حسناً.. يقول هنري أن من الغلط أن أذكر باميلا أمامك.. يقول إنك قد تظني أنني أفارنك بها.. وقلت له أن هذا أمر سخيف.. ولا يمكن أن تغاري من.. من إمرأة لم تعد حية، وأنا أفهم وضعك أكثر مما يفهمه هو.. وأعرف أنك لا تتصوري أن بإمكانك احتلال مكان باميلا في عواطف روبي.. أنت أكثر واقعية من هذا.. كما أنك فتاة عاقلة.. ولقد تراجعت معه حول هذا، وقلت له إذا كان يتوقع أن لا أذكر إسم إيتني أمامك، فهو يطلب الكثير..

لم تحس فيونا بمثل هذا الإرتباك في حياتها.. إيلين كانت تنظر إليها متوقعة رداً.. وتبدو متقدمة.. فماذا يمكن لفيونا أن تقول؟ إيلين كانت إمرأة لطيفة حلوة، ولا تريد أن تකدرها، فقد يحمل هذا الجو إلى نكد فظيع.

- أوقف معك! من غير الطبيعي أن أتوقع منك عدم ذكر

باميلا..

وضعت إيلين يدها على ذراع فيونا:

- ولا يزعجك هذا؟

لم يكن هذا سؤالاً بل فخاً.. لكنها ابتسمت لها مطمئنة:

- لا.. إنه لا يزعجني.

وتنهدت إرتياحاً لتقدم إيلين تنزل السلم وتبقيها إلى غرفة الجلوس.. وبهذا انتهى الموضوع.

لكن آخر رد لفيونا لم يكن صادقاً.. فالامر يزعجها.. لأنها في أعماق قلبها كانت تشعر أن روبي لا زال يحب زوجته الأولى، وأن ذكرى حب باميلا هو الذي يمنعه من حبها.. صحيح أنه توصل إلى تناسب مع فكرة موتها، أكثر مما توصلت إليه أمها، لكن هذا لا يشكل فارقاً لشاعره.. فيونا مجرد بدديل، بدديل يجده جذاباً. صحيح أنه لم يستخدم الكلمة، تناسب، مع أن الكلمة بالنسبة إليه هي بالضبط ما هو هذا الزواج له.. ويجب أن تواجه هذا الواقع.

دون نعية أو أي آخر وقالت:

- عمت مساء.. ! قوبي عند باولا.. مرت لتوى لآحده
ولم أجد أحداً.. لا بد أنهم ذهبوا إلى القرية أو إلى مكان آخر.

- وأين كنت؟

كانت تخلع ملابسها، المعطف، القبعة، القفاز، والحداء،
- أتسوق.. يا إلهي الطقس بارد اليوم! لماذا أنت نكد هكذا؟

ما بك؟

- لماذا لا تقولي لي أنت!

- روبي؟ إشرح لي ما جرى أرجوك؟

انفجر بها.

- أنت إشرحي لي.. ! عدت إلى البيت لأجدك فارغاً، لا رسالة
ولا شيء.. وها أنت تعودين إلى البيت دون قوبي، وتقولي لي إنك
كنت تتسوقين.. حسن جداً.. أين مشترياتك؟

لم تصدق فيونا أذنيها، ولا عينيها.

- يا للسماء.. ماذا دهاك؟

لقد تغاضت عن تعبه لأسابيع الآن.. منذ عادا من شهر
العسل في الواقع.. كان يعمل جاهداً، وتعرف أن هذا سيؤثر
على أعصابه.. لكن هذا؟ وأحسست بالخيرة:

- لم أشتري شيئاً.. كنت أبحث عن معطف، من جلد الخراف.
أوه.. لست أدربي، أعتقد أنني لم أركز جيداً.. كنت ملهمة طوال
اليوم.

- رد بصوت ساخر:

٤ -

أول الخصام

خلال أول الأسبوع من شهر كانون الثاني، كان لدى فيونا الأسباب الكافية للتساؤل عن صحة ظنونها.. روي أنها آخر فصل من سيناريو كتابه، وارسله إلى الوكالة.. وستمر أيام قبل البدء بالتصوير، وهذا لحسن الحظ لا يلزمها أن يسافر مع بعثة التصوير. لكنه أمضى بضعة أيام بعد رأس السنة مباشرة مع البعثة كان يترك المنزل باكراً ولا يعود حتى وقت متأخر، ما عدا يوم الأربعاء من الأسبوع.

دون أن تدرك إنه سيعود باكراً، أمضت فيونا معظم يومها في آبني.. بينما تركت قوبي مع زوجة جيف التي أصبحت الآن صديقتها الحميقة.. حين عادت إلى المنزل وجدت روبي في غرفة الجلوس؛ سيكاراة بين أصابعه وإبريق قهوة أمامه.. وكانت الساعة حوالي الرابعة وقبل أن تعم. وعرفت فيونا على الفور أن شيئاً قد حدث، لا تعرف ما هو، ولماذا كان ينظر إليها بغضب..

وسألتها:

- أين قوبي؟

- وهل هذا صحيح؟ متى خرجت هذا الصباح؟

جلست فيونا:

- في التاسعة.

- إذن كنت تسوقين دون أن تشتري شيئاً، طوال النهار؟

- ما الأمر؟

- سؤال بسيط.. أجيبي عليه!

- أطلب مني أن أقدم حساباً على تحركاتي روبي؟ إذا كان الأمر هكذا، أريد أن أعرف السبب.

- أجيبي على سؤالي فقط فيونا.

تمسكت بأعصابها، تسامح:

- حسن جداً.. ذهبت إلى عدة محلات، تناولت الغذاء ثم أمضيت ساعة في الكنيسة.

- في الكنيسة؟

- أجل في الكنيسة!

ووقفت على قدميها بحدة:

- مرت سنة الآن منذ وفاة والدي، وهذا هو السبب، قبل أن تسأل.

ساد صمت مفاجيء، لكنه مشحون يكاد يفرقع عبر المسافة التي تفصلهما.. وقطعت فيونا الصمت، لتفوه أن مزاجه متذكر بسبب ضغط عمله.. وقالت:

- أكان يومك.. متعباً.. أو شيء من هذا؟

- لم يرد.. استمر ينظر إلى السجادة.. فجأة وقف وخرج من

الغرفة، قائلاً:

- سأكون في مكتبتي.. استدعيني وقت جهوز العشاء.
نظرت إليه فيونا.. كان يؤنبها لسبب ما، يتغافلها، ثم يطلب أن تستدعيه وقت الطعام! ماذا.. أو من يظنها.. خادمة؟

تناولت فنجان قهوة قبل أن تتصل بياؤلاً لتعرف أذا عادت.
حين ذهبت لتأخذ قبقي، أخبرت بياؤلاً بما حدث لا تزال لا تصدق تصرف روبي معها:

- لقد حصلت على أول شجار مع روبي..
صحيحت بياؤلاً!

- أنت محظوظة.. طوال هذا الوقت وهذه أول مرة
تشاجران.. هذا أمر ليس شيئاً

- أعتقد هذا.. لكن صدقأً، لدى إحساس أنني لا أعرفه أبداً
كنت كمن يتحدث إلى غريب.

وسألت بياؤلاً باستغراب ماذا تعنى، فقالت:

- عدت إلى المنزل حوالي الرابعة.. وكان في المنزل، ولم أكن
أتوقع وجوده.. ولم أعرف بماذا كان يفكر! طالب أن يعرف أين
كنت، وماذا أفعل طوال النهار.. بياؤلاً؟ ما الأمر؟ أيمكنك
احتساب هذا؟ لم أشاهده يتصرف هكذا من قبل.
- كان يعمل جاهداً.

- هل هذا هو السبب؟ هذا ما ظننته.. لكن..
لم تكمل فيونا جلتها، فقد لاحظت أن شيئاً ما كان يدور في
ذهن بياؤلاً، ولكن تقول لها ما هو.. وهذا ما خيب أملها،

وأعطها الإحساس بالنفور.. ما الذي تعرفه باولا ولا تعرف فيونا؟ أم أنها تخيل الأشياء؟ ولكن الكبراء لم تسمح لها بالسؤال.. ووقفت قائلة:

- حسناً.. من الأفضل أن آخذ توبي.

كان هناك نظرة اعتذار على وجه باولا وهي تقول:

- فيونا.. اسمعي.. لا تقلقي حول هذا. أنا لم أشاهد روبي منذ زمن، لكنني واثقة أنه مشتت القوى والفكير، تحمله، وسيمر هذا..

تهدت فيونا:

- أجل.. لماذا لا تأتي أنت وجيف يوم السبت؟ لتعشى معاً؟
نستطيع أن نضع إبنته سوزي في أحد الغرف لترتاح.

- عظيم! وبينما نحن في موضوع الاجتماع معاً، أريد أن أناك منك لحضور حفلة عيد زواجهنا، مع إنها بعيدة.. أول أسبوع من آذار.. لكنني أريد إعطائكم فرصة طويلة كي لا تكون لكماعذر لعدم الحضور.

- باولا! بالطبع ستحضر!

- ستقيم الحفلة يوم السبت، مع الذكرى هي يوم أحد، لكن من يقيم حفلة يوم الأحد؟

لم تلحظ فيونا إنه لم يكن عليها إصدار الدعوة قبل استشارة روبي.. لكنه بكل تأكيد لن يعمل في المساء.. كان لا يزال في مكتبه حين وصلت، وأعدت توبي للنوم، تحس بالتردد للانضمام إليه، وهذا بحد ذاته أزعجهما.. وقالت:

- تعال توبي.. ستدخل لتمنى لوالدك أمسية سعيدة.
لم يكن روبي يعمل، بل كان مستلقياً على الأريكة، وإلى جانبه متفضة سκاّثر مليئة بالرماد وأعقاب السκاّثر واتجهت عيناه فوراً إلى فيونا وفيهما اعتذار.

وقت العشاء وضع اعتذاره في كلمات:

- آسف لما حصل بعد الظهر.. أعتقد أنني متوتر الأعصاب حالياً.

فكرت فيونا جيداً قبل أن ترد.. فالحادثة أزعجتها أكثر مما أدركت، لكنها لا تريدها أن تخرج عن حجمها.

- لا بأس.. أنت متوتر لأنك بحاجة إلى الراحة.. وربما ستتمكن من هذا بعد انتهاء المسلسل... لكن.. روبي، لمجرد تسجيل موقف! أنا لا يعجبني أن يطلب مني، تقديم حسلب لوقتي... وهذا ليس...

وصمتت، فقد ارتبط لسانها، كانت على وشك أن تقول هذا ليس جزءاً من اتفاقنا، لكنها لم تستطع. كانت تحب روبي أكثر مع مرور كل يوم.. لكن المشكلة كانت إنها مع مرور كل يوم تصبح متطلبة أكثر عاطفياً.. في تفكيرها، وفي قلبها. أرادته أن يحبها.. إذا لم يكن يقدر ما تجده.. أو بقدر ما أحب باميلا.. فعل الأقل قليلاً.. قليلاً فقط.

وأكمل لها كلامها:

- لم يكن هذا جزءاً من اتفاقنا.. لقد اعتذرت.. ألم أفعل؟ هل تريدين الإعتذار كتابة؟

اضطرت للوقوف كي لا تفجر الدموع من عينيها:
- سأحضر الحلوى.

الآن وبمرور الأعياد، وقرب ذهاب توبى الى المدرسة، لثلاثة أيام في الأسبوع.. فقد آن لها أن تفكك بالعودة الى عملها، وأن تبدأ بالتحضير لبعض المواد الأولية لموسم الصيف. عملها مهديء لأعصابها، شيء تحب أن تقوم به، ولقد اشتاقت له كثيراً.. فكرة العودة إليه كانت تبهجها والسماء وحدها تعرف كم هي بحاجة الى البهجة الآن..

دس روى رأسه من باب مشغلها وقال:
- أنا ذاهب الى الفراش الآن فيينا.. أتعملين؟
استدارت إليه:

- ليس بالضبط.. أضع لائحة بما أحتاجه قبل أن أبدأ العمل.
- وهل ستتأخرين؟
السؤال أزعجها.. بغضب استدارت إليه وهي لا تزال في
كرسيها:

- هكذا إذن! لا بأس في أن تزعجني وأنا مشغولة، لكن
العكس غير مسموح.
- هاي..! سألتاك ببساطة...

- حسناً.. لا تسأل.. يبدو أن هناك مجموعة من القوانين
لنك، ومجموعة مختلفة لي.. متى سألتاك كم ستتأخر؟ هذا أكثر مما
أجزرُ عليه حين تكون منكباً على شيء ما!
- وما الذي يزعجك؟.. لقد اعتذرت لك عما حدث بعد ظهر

اليوم.. ألم أفعل؟

نظرت إليه فيونا بحدة.. لأول مرة لم تتأثر فيها بمنظره يملا
الباب.. في العادة، كانت نظرة واحدة كافية لأن تحسن بأنها ترغب
به، وهذا بالضبط سبب إرادته أن يعرف متى ستأتي الى
الفراش.. ورمته بالإهتمام دون الإهتمام بما سيكون ردة فعله:
- ما الأمر روي؟ أتحس بالإثارة؟ هل توقفت يوماً لتفكيركم
أنت أناي؟ ألم تتوقف يوماً لتفكيركم اضطربت الى تكيف نفسي
خلال الأسابيع الماضية؟ بالطبع لا! فهذا المترد بما يحيط به، يدور
حولك فقط، عملك، رغباتك، مزاجك.. مع ذلك، لهذا أنت
تزوجتنى.. أنا مدبرة متزلك. وأم بالوكالك لطفلك.. أنا حلالة
عقلك.. ورفيقة فراشك.. حسناً، ليس الليلة.. لست في مزاج
لهذا.. لهذا إذا ظنت أنك قادر على أن تدخل الى هنا...
إذا كان روبي غاضباً قبل قليل، فذلك لا يقارن مع ما يحس
به الآن.. قطع الغرفة بخطوتين، يشدّها بعنف لتقف!

- ما الذي تقولينه بحق الجحيم؟

- أقول: إنك أناي! وأقول: إذا كنت تظن نفسك قادر على
«استخدامي» طوال الوقت الذي يناسب رغباتك، فأنت
خطيء..!

هزها الى أن إصبتكت أسنانها.

- يا إلهي! أهذا ما تظنينه؟ إنني استغلتك؟ أهذا ما تظنيني أنني
تزوجتك لأجله؟ مجرد غياباتي؟ وما يناسبني؟
ها هي الكلمة يناسب مجدداً..، جذبت نفسها منه، مندهشة من

تصرفة الخشن معها.

- هذا ما يبدو عليه الأمر من وجهة نظري !

- وماذا عن هذا؟

جذبها إليه بقوة حتى إلتصق جسدهما.

- أشعرتين أنني أستغلك حين أعاشرك؟ أشعرتين؟

ضحكته لم تكن مستساغة، وأكمل :

- إذن.. أنت لست في مزاج لهذا.. هه؟

قبلها بوحشية، وكان هذا هو الشيء الخاطئ، أن يفعله في هذه اللحظات... وقاومته، يدها ترتفع إليه بسرعة البرق، وتحط على وجهه، بصرية تردد صداتها.

حدقا ببعضهما بصمت.. لم تصدق ما فعلت.. لم تصدق أنهما تخاصما هكذا.. كان ينظر إليها بطريقة لم تشاهدتها عليه من قبل. وفي عينيه الذهول.. والغضب.. بكل هدوء، قال:

- إذا حاولتي هذا مرة أخرى، فستنال أضعافا مضاعفة.. وأكثر بكثير!

ولن تحاول هذا مرة أخرى.. أبدا.. فهي لم تصدق نفسها بما فعلت، بقدر ما لم تكن تحمل ما تراه في عينيه... ودفعها بعيداً عنه بقوه.. وكان يكرهها.. وكانت تكره نفسها.. لماذا تصرفت بجنون هكذا؟ لماذا إحتاجت لأن تخفف الضغط من نفسها؟ ما الذي كان فيها أصلا؟ مل الذي فعل لها.. حقا؟

الدموع التي تجمعت في عينيها، تدحرجت على وجهها:

- روبي.. أوه.. روبي.. ما الذي جرى؟

مرت لحظات لم يرد، وظنته لن يرد.. .

- لست أدرى.. أنا السبب.. إنها غلطتي.. أنا.. .

- لا إسمع.. أنا آسفة على ما قلت.. على ما فعلت.. .

هز كتفيه متعباً، واستدار نحو الباب بحيرة.

- لا.. لا تذهب! روبي.. أرجوك.. ضمني إليك.. .

أرجوك قيلني.. لا أستطيع.. أنا لا.. .

مع آفة، ضمها بين ذراعيه وهي ترمي نفسها إليه.. يقبلها بعنف، وكانوا في نفسه إحساساً يود التخلص منه.. وعلى أرض الغرفة تعاشران، كلاهما يتجازب وكأنهما يائسان، وكأنهما كانا مبتعدان عن بعضهما لزمن طويل.

لكن عنصر الإهتمام والرعاية، الذي كان دائماً موجود بينهما أصبح مفقوداً.. مهما كان لديهما من قبل، ولو أنه غير كاف لها، كان أفضل من هذا.. فجأة أحسست، دونما ارتياح، بخجلها منه، شيء لم يكن من قبل بينهما منذ يوم زواجهما.. فنهضت عن الأرض مملؤة النفس بقلق مؤلم، إلتقطرت ملابسها، تخس بجسدها متصلب ويتالم.. فالرغبة، والرغبة لوحدها، دون حب، ترك في الفم طعمًا مريراً. وقالت:

- إذا كنت تحاول أن تُظهره لي الفرق، فقد نجحت روبي.. .

كان كلامها بالكاد يكون همساً، كانت مجروحة، جسدياً، نفسياً، وروحياً.. ولم يتحرك، ولم ينظر إليها.

- في الواقع لم أكن أحاول شيئاً.. وأذكر أنك أنت طلبت هذا.. ولا أذكر أنك تصرفت كأمراة مُستغلة.

كان تobi في الخارج فوق أرجوحته يرتدي ما يناسب ضد الطقس
قال لها ببساطة:
- من أين حصلت له على هذه القبعة، وكيف أقنعته أن يرتديها.
ابتسمت.

- أعرف.. يكره تغطية أذنيه.. إشتريتها من المدينة الأسبوع
الماضي.. واتفقنا، إذا سمح لك باللعب في الخارج في هذا
الطقس، فهذا مشروط بأن يتسلح ضد البرد.. لكنه لن يبقى
طويلاً.. وسترى..

استدارت إليه، لتلاشى ابتسامتها حين شاهدت الجدية في
عيني زوجها.

- فيونا.. هناك أشياء كثيرة يجب أن أقولها لك.
وكانت مستعدة، وتعرف أن هذا قادم، وبإمكانها مواجهته
الآن.. فالأشياء دائماً تبدو مختلفة في ضوء الصباح. وقالت:
- دعني أقول لك شيئاً أولاً روي.. بالأمس كان.. لست
أدرى ما حدث.. لنقل أنه كان مشحوناً بالعاطفة بسبب الموعده..
كنت أفكّر بوالدائي، كما هو واضح. رحلة تسوق، كان من
المفترض أن تلهيني.. لكنها لم تفعل.. وأنا آسفة، قلت أشياء لا
أعنّها، كنت غاضبة..

- كلانا كان هكذا.. كنت في مزاج غريب.. لكن اعتذاراتنا
المتبادلة لن توصلنا إلى أي مكان.. والكلمات لا يمكن استعادتها
وأنت تعرفين المثل القائل: لا دخان من دون نار.. لذلك أخبريني
هل أنت تعيسة؟

وكانت الحقيقة.. التوجهت إلى الحمام، دون كلمة أخرى،
جسدها الخوان أنكر تلك النقطة التي حاول هو أن يبرزها.. وبدا
لها أنها دائمًا مستعدة للتجاوب مع روبي، بغض النظر عن أي
ظروف.

ومضى وقت طويل قبل أن يأتي روبي إلى الفراش.. كانت
فيونا مستلقية في العتمة، تمنى لو أنها لم تتكلم عن مسألة
استغلالها.. مع أن جزءاً منها كان يحس أن هذه هي الحقيقة، إلا
أنها ذكرت نفسها لما لا عدد له من المرات أنها كانت تعرف ما
يتنتظرها.. لكن ما لم تدركه هو مدى الإنزعاج الذي ستحس به أن
تعيش في ظل باميلا.. وأنسل روبي إلى جانبها دون أن يضيئ
النور، وقال بهدوء:

- فيونا.. هل أنت مستيقظة؟
غضبت شفتيها.. هل تظاهر بالندم؟ كانت قريبة جداً من
البكاء، وما تحتاج إليه هو أن ترمي نفسها بين ذراعيه، وتقول له
كم تحبه يائسة.. قالت:
- أنا مستيقظة..
- يجب أن تتكلّم.

التوتر في صوته لا يمكن تجاهله.. فأغمضت عينها بشدة ضد
الدموع المهدرة.. لن تستطيع الثقة بنفسها أن تتحدث، ليس
الليلة، ليس الآن.. لكنها قالت:
- أعرف.. لكن ليس الآن..
تكلّما في اليوم التالي بعد الفطار، قبل أن يخرج روبي إلى عمله،

- لا.. أنا.. لا!

- هذا لن ينفع فيونا.. قولي، ماذا كنت ستضيفين؟

تنهدت وصبت فنجان قهوة:

- كنت أحاول القول أني بحاجة إلى وقت لأتكيف.. فحياتي أصبحت صعبة جداً، وبسرعة.

بدا عليه الرضى:

- لا أستطيع مجادلتك في هذا.. والتوقيت كان تعيساً كذلك.. لم يكن أمامي وقت لأقضيه معك ومع توبي.. لم تتع لنا فرصة أن نشعر أننا.. عائلة.. أليس كذلك؟

هزن رأسها تتساءل ما إذا كانوا يوماً سيشعرون أنهم عائلة.. وأكمل:

- حسناً.. آمل أن أغير هذا في القريب العاجل.. وإذا كنت قد أحسست أني استخدمتك...

- روبي.. حاول أن تنسى أني قلت هذا.. أرجوك! إذا أحسست أنك مستغلة لا ألومك. لكن هذا لم يكن في نبتي، أريد أن أسعدك فيونا.. صديق أو لا تصدقني، أريد هذا كثيراً.. حين يتنهي هذا المسلسل، ربما نسافر إلى إنكلترا.. نحن لم نتناقش أمر المستقبل ويجب أن نفعل هذا، لكنني لا أتوقع منك رأياً بخصوص السكن هناك إذا لم تعرف المكان.

كانت تركز على كل كلمة يقولها، دون النظر إليه، لم يكن بهمها كثيراً إذا بقيا في أستراليا أو استقرا في إنكلترا.. كل ما تريده أن تكون معه.. وليس لديها أية صلات عاطفية هنا.. وسألته:

- أترغب في ترك هذا المنزل؟

- ليس تماماً، فأنا أحبه جداً.. ما عدا سنة ولادة توبي كنت أعود كل سنة إلى إنكلترا لبضعة أشهر.. لكنه سيدأ المدرسة بوقت كامل هذا الخريف.. وهذا ما يبدل الأشياء.. ولا يمكننا إبعاده ثم العودة به، ويجب أن نقرر إقامتنا الدائمة.

فهمت فيونا كل هذا.. لكن:

- لكتني كنت أعتقد.. ربما، أعني هذا المنزل يجعل ذكريات كثيرة لك؟

أمسك ذقنها، ونظر إلى عينيها:

- ما هو سؤالك بالضبط؟

- لا أستطيع منع نفسي من السؤال ما إذا كان هذا المنزل يذكرك دائمًا بساميلا؟

- أذكر بها من وقت لآخر.. طبعاً. لكن المنزل لا علاقة لها بالأمر أبداً.

- وذلك المنزل الآخر في إنكلترا.. الذي شاركته معها؟

- نفس الشيء ينطبق عليه، والرد هو نفسه.. ما يحيط بي لا يؤثر علي إذا كان هذا ما تفكرين به.. آما.. فهمت الآن إلى أين يقودنا هذا.. أنت تظنين أن المنزل يذكرني بساميلا، وتتساءلين ما إذا كنت أقارن بينك وبينها، صحيح؟

أحسست أنها خائفة فجأة.. خائفة أنها إذا لم تكن حذرة فسوف تخبره أن يضع بالكلمات، ما لا تريد أن تسمعه.. واعترفت

باربك أن الفكرة خطرت لها.. فأجاب:

- إنني الأمر إذن، فأنت وباميلا كالطبيشور والجبن، من المستحيل المذرنة.. ثم كم سيكون هذا مضيعة للوقت! باميلا ميطة، ولقد توصلت إلى استيعاب الأمر منذ مدة طويلة.

صدقته فيينا.. في الواقع صدقته منذ أول مرة قال هذا فيها.. لكنها لم تستطع منع نفسها من التفكير.. زوجته الأولى ستفدانياً بينهما.. ولا تزال لها القدرة على منعه من حب إمرأة أخرى.

كان روبي على وشك الخروج لوداع توبى، لكن الصبي وفر عليه عناه الخروج، فقد عاد إلى المنزل راكضاً وهو يرتعش فالطقس بارد جداً.. وقال ينظر إلى الكبارين:

- ثم.. لا مرح في اللعب متفرداً.. لماذا لا تنجحان لي طفلاً؟.. بإمكانكم الآن إنجاب أخ أو اخت صغيرة.. أليس كذلك؟

لم يجد على روبي الإرتياح للسؤال، وتم شيئاً عن: دعنا ننتظر لنرى.. وقبل توبى، وأعطي زوجته ما يمكن وصفه بقليلة رسمية..

وهي توصله إلى الباب قالت:
- روبي..

- أعرف، من فم الأطفال... لحظة مربكة، أليس كذلك؟

- في الواقع لم أكن أريد الإشارة إلى هذا.. أنت لا تشعر، لا تشعر أنك أخطأت؟ في هذه الحالة لا جدوى من بحث أمر انتقالنا

إلى إنكلترا، أو مناقشة أي مستقبل لنا معاً.. ولأجل توبى،
سيكون الأمر أفضل لو أنهما...

اسودت عيناً روي، وتغيرت معالم وجهه، حتى أنها تأكدت أنها أغضبته ثانية.. وقال باختصار:

- لا.. أردت أن أتزوجك فيينا.. ولو لم أفعل لاستمررت في رغبتي هذه.. الرد أنتي.. لا.. لا أشعر أنتي أخطأت!

لقد قال لها أنه رغب في الزواج منها، فماذا يمكنها أن تسأل بعد؟

- كنت سأقول لك أنتي دعوت جيف وباؤلا للعشاء يوم السبت وأرجو أن لا تمانع.

- بل سأطلع شوقاً لذلك المساء.. اتصل بمكتب خدمة الحاضرات سنأخذها إلى مطعم وهذا سيوفر عليك الكثير.

- لا.. لا مشكلة أبداً.

إنها لم تقنعه بعد، ولم تمح الفخر الذي سببته.. لماذا لا تتعلم أن تقفل فمها وتحبس الأشياء الإيجابية في حياتها؟ إنها تتوقع الكثير وهذا يجب أن يتوقف:

- ما من مشكلة.. وسأُمتع بأن أطهو شيئاً عمياً.

- إذا كان هذا ما تريدين.. لقد تأخرت، ويجب أن أنطلق.

- في صف أحد؟ لا.. لكن..

هذا يحدث مرة أخرى، ماذا في رأس باولا تريده قوله وتشعر أنها غير قادرة؟

- إنسي الأمر باولا.. لقد تحدثنا بالأمر في الصباح التالي، وقررنا أن كلانا كنا في مزاج سيء.. إذا أردت مساعدتي خذني هذا الطبق من السلطة وضعيه على الطاولة.

- أنت تحبيه كثيراً.. أليس كذلك؟

كادت فيونا توقع الطبق الذي أمسكت به لتوها، وبدت عليها الصدمة.. فقالت باولا:

- لا داعي لكل هذا الرعب.. أنا إمراة مثلك، وأعرف تماماً ما تشعرين به.. لأجل السماء، أظنتي أنك خدعتني؟ قد يكون روبي أعمى لأن لا يرى، لكنني لاحظت كل شيء..
- باولا..

- ارتاحي! لن أخبره بهذا، إذا كان هذا يقلقك.. لست حقاء فيونا.. أمامك الكثير لتفكيري به.. وأنا أصبحت مغفرة بك، وأتمنى أن تنجحي معه، لهذا أرجوك، قولي لي كيف تسير الأمور.. حقاً.

لكن فيونا لا تستطيع أن تقول لها.. صحيح أن باولا عبوية جداً.. لكنها ليست الشخص المناسب لفتح لها قلبها، فلن تكون موضوعية، وليس من العدل أن تتوقع منها هذا على أي حال، هذا ليس بالوقت المناسب لتعرف.

- الأمر ليس سيناً أبداً.. صدقيني.. وكما قلت أمامنا الكثير

- ٥ -

الغيرة!

لم يعد أي شيء كما كان من ذلك الوقت وما عدا.. ذلك اليوم من أيام كانون الأول غير كل شيء.. شيء ما، بطريقة ما.. تبدل على مستوى أساسى.. نقاشهما، كما جرى، ساعدتها ولم يساعدها.. وحدث تغيير في علاقتهما، تغيير دقيق حاد.. إيجابي في بعض النواحي، سلبي في أخرى.

يوم السبت من ذلك الأسبوع، انضمت باولا إلى فيونا في المطبخ، تريد أن تساعد. الطفلين كانوا في الفراش، والأربعة الكبار كانوا يتحدثون ويشربون القهوة لمدة ساعة، والجميع جائع.

لم يكن هناك شيء ليعمل.. فقد حضرت فيونا كل شيء.. والطاولة محضرة، متممة بالشموع، مجموعة من الزهور الطازجة.. ولم تتفاجأ حين سالت باولا كيف تجري الأمور.

ابتسمت فيونا بدباء تضع يدها على كتف باولا:
- لا تشغلي بالك.. لقد فاجأتك.. وماذا يمكنك أن تقولي؟
تعرين روبي أكثر مما تعرفي، ولا أتوقع منك أن تكوني في صف أحد.

يعد اللعب معها مرح كما كان، ولم تعتذر.. دادي.. أنا..
ولم يستطع أن يكمل.. فقد امتلأت عيناه بالدموع، التي
تدفقت على وجهه، ورفعت فيونا يدها على فمهما مرتابعة.. ت يريد
أن تبكي معه.. وسارعت إلى طmetته:
- بالطبع سأبقى معكما حبيبي!
و فعل الأب مثلها:
- فيونا وأنا كنا نعمل بجهد. هذا كل شيء.. ونحن متبعان
قليلًا.

- لا يجب أن تفكّر للحظة واحدة أني سأترككما.. كيف
أستطيع؟ أنت أفضل شخص لدى في الدنيا كلها.. أنا أحبك أياها
المغفل!

توقفت دموعه قليلاً:
- وماذا عن دادي؟

يا الله.. كيف ست رد على هذا؟ ولم ترد، بل هزت رأسها
تبتسّم، إبتسامة بلهاء أمام نظر الأب.. والأسوأ من هذا أن روبي
كان ينظر إليها، دون أن يدّع عليه المرح.. يتّظر ليرى ما
ستقول.

- إنه أحد الأشخاص المفضّلين عندي أيضاً.. بالطبع.
قال روبي:

- سأقول لكما ماذا.. سنقوم بشيء مرح معًا اليوم.. سنأخذك
من المدرسة وسنذهب لتناول طعام جيد.. ثم نذهب إلى حديقة
الحيوان.. ويمكن لسوزي أن تأتي معنا إذا سمحت لها أمها.. ما

تفكر به ونسويه، وهذا سيستغرق وقتاً.
الوقت.. تحرك كانون الثاني ليدخل شباط.. حتى هذا الوقت
كانت الحياة قد استقرت إلى روتين معين، مما جعل الجميع يشعر
بالسعادة، بدأ توبي بالذهاب إلى المدرسة، وعادت فيونا إلى
عملها، ولو جزئياً، وكان روبي على وشك أن يحصل على
حربيته.. قريباً ستتاح له فرصة الإرتياح، خاصة أن بعثة التصوير
عادت من المكسيك بعد أن صورت الواقع الأثيرية للأزتيك، ولم
يبق أمامه سوى التعليق عليها بصوته.

لم يخطر ببال فيونا أن توبي سيشعر بالجو المتوتر بينها وبين
أبيه.. ولم يكن لديها خبرة مع الأولاد.. ونسيت كم يمكن
للأولاد أن يكونوا حساسين.

في صباح يوم من منتصف شباط، وخلال الفطار، ودونما أي
تحضير.. قال توبي شيئاً، صدمها وأزعجها.
قال بشجاعة، وكأنه يقرر أمراً واقعاً:
- فيونا.. كنت على وشك أن أناديك «ماما» لكنني غيرت
رأيي.

تبادل النظارات مع أبيه.. كانت تحب إيتها بالتبني كثيراً
ولكان أسعدها جداً لو نادتها «ماما» لكنها لم تكن تريد أن تؤثر
عليه في أي قرار يتخذه.. وسأل روبي:

- ولماذا يا بني؟ هل هناك سبب خاص؟
- أجل.. فيونا قد لا تبقى معنا، دادي.. لا أريد أن أناديها
«ماما» إذا لم تكون ستبقي معنا.. لم تعد تضحك كما كانت، ولم

رأيك بهذا؟

ونجحت الفكرة وتوقفت الدموع.. لكن الإرتياح لهذا الإنجاز فسد بعد دقائق، حين ذهب توبى ليحضر معطفه، إلتفت روى إلى فيونا ليعتذر:

- لقد فاجئتك.. وأنا آسف، سأخذك إلى المدرسة، بإمكانك على الأقل أن يكون لك الصباح بأكمله، فأنا لا أريد إفساد خططك لما بعد الظهر.. لكتني..

- خطط؟ مثل ماذا؟

- أي شيء.. ربما كنت ترغبين في العمل.. أو التفتيش عن زبائن، فهذا ما كنت تفعلينه هذه الأيام أليس كذلك؟ نظرت إليه لا تصدق أنه يصدق للحظة واحدة أنها تضع عملها قبل توبى.

- تعرف هذا جيداً وإن يكن؟ ليس لدى روتين عمل ثابت.. وتوبي أهم عندي من العمل أو أي شيء آخر! فتح فمه ليقول شيئاً، لكنه غير رأيه.. ونهض عن الطاولة يأخذ مفاتيح سيارته، متتمماً:

- لست وافقاً أن مخاوفه لا أساس لها.

يوم الجمعة تناولت عائلة غارليس الغداء مع إيلين وهنري جيفسون، وهذا أمر كان روتينياً دائماً.. وكانت فيونا تأخذ توبى معها إلى الزيارات، وتركه مع جدته حين تذهب إلى التسوق، وكان الأمر يسير على خير ما يرام. التظاهر بالصداقة الذي أظهرته إيلين في البداية أخذ يتحول إلى أمر حقيقي، وهذا ما وقفت فيونا

منه.. وكانت تحمل أي ذكر للاسم باميلا، تقول لنفسها أن خوفها لوحدها هو الذي يزعجها.. ولم تذكر هذا الروي أبداً. على أي حال لن نحس بالتوتر اليوم، فإيلين لم تذكر إسم إبنتها أبداً أمام روى.. وأخذت فيونا هذا على أنه دليل إيجابي.. حانه السابقة تكيفت مع فكرة زواجه.

رن جرس الهاتف ذات ليلة وهم يشاهدان تمثيلية رائعة في التلفزيون، المدفنة مليئة بالخطب المشتعل، والأنوار منخفضة، وزجاجهما معتدل، دون توتر.. وكان التوقيت شيئاً.. لدقائق خلت، ظنت أنها وروي سيتبادلان حديثاً جدياً.. ورد روى عليه، ثم أومأ إليها حيث يقف:

- إنه جيم وايت، لقد باع روسديل اليوم، ويريد التحدث إليك.

كانت قد عرفت أنه جيم، لكنها لم تظن أنه يريد التحدث إليها، وأنه باع المنزل.

- جيم! كم جميل أن أسمع صوتك! تهتئني لبيع المنزل..

أجل.. عظيم.. رائع جداً.. وأنت؟

تابعاً الحديث، فهو لم يتصل منذ يوم زواجهما.. وأراد أن يعرف كل أخبارها، ومن الطبيعي أن تسأل كيف تسير الأمور في مؤسسة أبيها.. أما خيبة أملها، وفي منتصف الحديث، لوح لها روى من على الباب، وذهب إلى النوم.

كان يغط في النوم حين انضمت إليه.. أو هكذا بدا لها. كانت حذرة من أن تزعجه، فبقيت إلى الجانب الخاص بها من السرير..

واعملته لشهرته. أم إنن أتعجبن به.. فيونا لم تقدم إليه لتعرف الحقيقة.. فهناك حقيقة لا تتغير حول روبي.. لا يدرك أبداً مدى جاذبيته.

لكن لسوء الحظ، كان جايسون هارتس، يعي جاذبيته. فما أن ظهر بعد العاشرة، وتبادل حديثاً قصيراً مع مضيفيه، حتى اخذ خطأً مباشراً باتجاه فيونا.

كانت لا تزال تتبع في السوبر ماركت الذي يملكه ولم تجد سبباً يدعوها للشراء من مكان آخر.. ولم يكن دائماً في محله، فلديه عدة محلات سوبر ماركت في المنطقة، عرفت فيونا عنه هذا وعرفت أنه أعزب، ومنذ البداية.

- حسن جداً.. من لدينا هنا؟

بدايتها التناورية جلبت ابتسامة سخرية على شفتيها.

- أنا ذات الرداء الآخر.. ومن أنت جايسون؟ ألا زلت تحبني الثروة؟

- المرأة يستمر في المحاولة، يستمر في المحاولة.. تبدين فاتنة فيونا... وهذا ليس الفستان المناسب لزيارة جدتك.. بالتأكيد؟

- لا.. لكنه المناسب لاجتناب الذئاب.. جايسون.. لو استطعت فقط أن تتزعز عيناك عن صدري.. لماذا لا تذهب وتحضر لي كوب عصير آخر؟

ندمت على ما قالت، ووضعت يدها على صدغها ترافقه بينما بسرعة، وإبتسامته مفرطة المخال.. مغرورة.. بطريقه ما، فهم كلامها كدعوة.. ماذا جرى لها؟ الرجل غريب تماماً، والأكثر،

المهم.. أنه يريد لها أن تظنه نائماً.

لماذا تركها وجاء إلى الفراش وهي في متصرف الحديث مع جيم؟ لماذا لم يبق ليتحدث معها؟ لماذا لا تستطيع الحديث معه؟ أحدث مثل هذا البعض الأزواج؟

أزواج؟ إنهم لم يكونوا أبداً، ولن يكونا أبداً، زوجان بالمعنى الحقيقي للكلمة.. لكن.. هنا جيدان معاً.. وكانوا هكذا مرة من المرات، لن تخدع نفسها بالتفكير هكذا.. من الصعب التذكر بالضبط كيف كانت الأمور قبل ذلك الشجار الغبي.. ما عدا أن روبي كان يعمل جاهداً. ومن الصعب القول كيف هي الأمور.. لكن، لم يكن يومها مثل هذا التوتر، لم يناما في الفراش يوماً، يتتجنب أحدهما الآخر.. هذا أمر مؤكد.. توبي كان محقاً يوم بكى وتلفظ بمخاوفه.. أربع سنوات ونصف ووضع كل شيء في مكانه الصحيح: لم يعد هناك أي مرح، دادي، وفيونا لم يعودا ييتسمان. وأين هما الآن؟

ما الذي حدث لهما؟

ما الذي كان خاطئاً بينهما؟

حفلة عيد زواج جيف وباؤلا، كانت صاحبة النجاح.. وصممت فيونا على أن تتمتع بها.. ونتيجة هذا التصميم كان أنها استرخت، وتحدثت كثيراً، وضحكت، وتجاوיבت مع الجميع.. لكن الشيء نفسه لا ينطبق على روبي.. فالتوتر كان بارزاً حوله، على أي حال هو لا يحب الحفلات كثيراً.. وكان قد حشر لأول ساعة من الحفلة بثلاث نساء من القرية، أمطرته بالأسئلة،

- سأنضم إليك بعد لحظات. لحظة أخرى.
بالنسبة جايسون، كان هذا ضوء أخضر.. ولم تتوقع مائلاً
هذا، لكنها تعاطت معه بشكل جيد، فقد ابتسם وعيناه تتسللان
إلى فتحة الفستان الثانية.

- حسناً؟ متى سأراك مرة أخرى؟ مزوجة سمعة الإدمان على
العمل. وأظنه منطوي على نفسه.. ولا بد أن الحياة مملة لك.
صاحت فيونا بوقار.. لم تكن تتوقع مثل هذه الوقاحة.. لكنها
سيت بهذا نفسها، ولم تكن فخورة بما فعلت:
- مملة؟ أبداً! في الواقع أن روبي لا يعمل في الوقت الحاضر.
ولا يمكنني أن أدعوه منطويًا على نفسه.. إنه هناك.

لم يلتفت جايسون، ولم يتراجع:

- كم أحسته، ليس لديه فقط أجمل زوجة.. بل زوجة مخلصة
كذلك؟

ضحك!

- بالكامل.

حين ظهرت باولا، أحسست فيونا بالإرتياح هذه المرة.. وما أن
قدمتها إلى صاحب السوبر ماركت حتى كان روبي إلى جانبها وقال
لآخرين.

- سامعوني.. يجب أن أكلم زوجتي..

تصاعد غضبها، بعد أن طبقت يده على ذراعيها.

- أتركني! يا إلهي.. ستصبح ذراعي زرقاء في الغد! ماذا نظن
نفسك تفعل؟

أنها إمرأة متزوجة محترمة.. ربما تكون غير سعيدة، وتحب بيأس،
والله يساعدها، قلقة دائمًا لماضيها وحاضرها، والأكثر على
مستقبلها.. وهذا صحيح. لكنها متزوجة!
الأسوأ أن باولا سمعتها فتقدمت تحدّرها:

- أنت مراقبة، كوني حذرة حبيبتي.
مراقبة؟ من؟ روي؟ الواقف في أقصى الغرفة، ورأسه مرتفع
عن حوله.. كان ينظر إليها وكأنه سمع ما قالته! أشاحت وجهها
متمرة.. ليس الليلة.. ليس الليلة، لن يكدرها، لن يفسد
ليلتها.

عاد الرجل.

- هاك حلوي.. أخبريني إذن.. كيف هي حياة الزواج?
سمعت نفسها تقول:
- لا أنسح بها.

ولم تكمل، فقد تدخلت باولا فوراً:
- مرحباً جايسون.. كيف الأشغال؟ جيف يجد الأمور هادئة
في هذا الوقت، فمن يريد الشراء، يشتري قبل الميلاد.
- هذا صحيح، لكن على الناس أن تأكل طوال السنة.. هكذا
فالأموز على ما يرام! ومحلات دائمًا مشغولة.

وضعت باولا يدها على كتف فيونا، أصابعها تضغط عليه:
- سأجذبك من هنا.. أريدك أن تلتقي بصاحب محلات شهرين
آخرين!

ترددت فيونا.. فلقد كان الشيطان يمتلكها:

- سأعيدك إلى المنزل.
- لماذا؟
- سمعتني.

- أوه.. سمعتك.. عمت مساء روبي.. إذا أردت العودة،
فافعل ما شئت! فأنا باقية.. فالليل لم يتتصف بعد!
بلهجة لم تسمعها من قبل، جعلت فمها يفتح، قال:
- وأنا أخشى كثيراً مما قد يحدث لك قبل أن تدق الساعة الثانية
عشرة. فاحضري معطفك.. الآن!

للحظات حدقت فيونا به، محتارة تماماً. ثم استدارت على
عقبيها وعادت إلى القاعة الرئيسية في المنزل دون كلمة أو نظرة إلى
الخلف.

لم يلحق بها.. ولم تيق كثيراً بعد هذا.. فالشجار معه أفسد
عليها الحفلة، وحيرها موقفه.. صحيح أنه شاهدها تتكلم مع
جايسون إلا أنه أولاً، لم يسمع ما قالاه، وثانياً لماذا هذا التصرف
المتطرف؟

إلتقت فيونا لتجد باولا إلى جانبها تقول لها:
- خذني بنصيحتي وعودي إلى المنزل. ولأجل السماء،
هوبي.. إنه غاضب.

- غاضب؟ لماذا..

- فيونا أسمعني نصيحتي.. أرجوك!
- أنا.. حسناً سأفعل.. وأقسم أن أنكلم معه.
- سأجعل جيف يوصلك..

- لا.. أبداً.. لن أسمح بأن يترك الحفلة.. سأتمشي، فأنا
بحاجة للهواء النقي.. فعلاً!
- لكن الظلام دامس في الخارج!
- المسافة نصف ميل فقط. وأعرف الطريق جيداً.. ولن
يغتصبني أحد أو يقتلني في منطقة محترمة كهذه..
- حسناً.. لكن..
- يكفي.. عمت مساء.. وأنا آسفة.. ما كان يجب أن يحدث
هذا هنا، وخاصة الليلة.

رفضت عرض جايسون الملح بأن يوصلها، وانطلقت تسير في
الطريق إلى المنزل. كان منزلها يغطى في ظلام دامس، أما أن يكون
روي قد تعمد أن يطفئ كل الأنوار، أم أنه ظنها ستبقى عند باولا
مع الأولاد.

أدخلت نفسها إلى المنزل بأكبر قدر من الضجيج، تضيء كل
الأنوار وهي تدخل.. لا يمكنه أن يكون قد نام.. وكالبلهاء
نادت باستمرار «روي؟» لكنه لم يكن في المنزل.. وهذا واضح،
لكن معرفتها بهذه لم تمنعها من مناداته.. سيارته في الخارج.. لكنه
لم يكن هناك.

دخلت الحمام تفكّر، لكنها وقفت متسمّرة.. في الحمام
مغسلتان، وخزانة كبيرة بينهما، وعدة رفوف.. كل أشياء روبي
اختفت، لا مشط، لا أدوات حلاقة، لا فرشاة أسنان.. لا شيء
أبداً.

مدمرة الأعصاب، جلست على حافة المغطس.. إلى أي غرفة

المترزل كله اهتز.

القدرة على التفكير عادت مع الصباح.. أمامها فكرة واحدة.. وخياراً واحد.. سترك روبي.. وستركه اليوم، بل الآن!

لم تحس بأي عاطفة، أي شعور.. لا شيء.. بهدوء،
اغتسلت، ارتدت ملابسها، نزلت تفتش عن زوجها.. ستقول له على الفور، بدون مقدمات، إنها ستوضب كل ثيابها، كل أشيائهما، ولن يكون في المترزل، وسيارته ليست هناك.

عادت إلى المترزل، فمن الأفضل أن تبدأ بتوضيب حفائهما. كل ما يهم الآن هو أن تبتعد، فما حصل يكفي.

رمت في حقيقة ما يكفي من ملابس لبضعة أيام.. ستنذهب إلى بيروت.. أو ربما ستتجه شمالاً إلى كارنافولا حيث يعيش ابن عمها لتعيش معه بضعة أيام، إلى أن تتدبر نفسها، وتقرر ما ستفعل.

لكن أين روبي الآن، هل ذهب بحضور توبي؟
هناك طريقة واحدة للمعرفة.

رد جيف على الهاتف:

- ما بك؟ فيينا.. ما الأمر؟ صوتك غريب؟

- أنا.. لا شيء جيف.. أريد معرفة ما إذا كان روبي عندكم

أرجوك أخبرني:

- هونى عليك.. لا، ليس هنا.. فيينا، ماذا جرى؟ تعالى إلى هنا.. أرجوك!

انتقل؟ لكن ما المهم.. لقد انتقل من الغرفة..!

من السيء إلى الأسوأ.. إلى بداية النهاية.. غرف منفصلة! خرجت إلى الممر، ودققت بباب غرفة النوم المقفلة:

- روبي.. روبي؟

- ابتعدني عن هنا فيونا.. دعني بسلام.. لقد تحملت أكثر مما
أستطيع.. أسمعي؟
تحول ذعرها إلى غضب:

- تحملت أكثر مما تستطيع؟ كيف تجرؤ؟ كيف تجرؤ؟

انفتح الباب فجأة حتى أنها فقدت توازنه، ومدت يدها تدفعه لستقيمه.. وحدث ما حدث بسرعة وبحركة واحدة، استقامتها وصفعها له بشراسة:

- أيها المترزل! لا تظن أبداً..

انقلبت الدنيا رأساً على عقب.. فقد ارتفعت عن الأرض
وانقلبت تماماً.. وصاح بها:

- لقد حذرك! لا تقولي إبني لم أحذرك يا زوجتي الحبيبة!
زوجتي.. زوجتي!

لقد جن.. وأصبحت مكتنعة من هذا.. وحملها عبر الممر
ليرميها فوق سريرهما.. ومررت لحظات قبل أن تدرك ما ينوي.

قاومته، وصرخت، تدفعه، لكن ما فرستها أمام عملاقاً يبلغ ستة أضعاف قوتها؟.. وحسن الحظ، لم يستمر جنونه كثيراً..
وعاد إليه تعقله، فتوقف على حين غرة يتفرسها بقرف، يتركها مستلقية مصدومة صامتة.. وصفق الباب وراءه بقوة حتى أن

- أنا.. أجل.. أنا مضطرة للمجيء.

يا الله! ماذا ستقول لتوبي..؟ منذ أسابيع فقط وعدته أن لا تتركه أبداً.. وقالت أنها تحبه.. فكيف سترجع له أنها لا زالت تحبه، لكنها مضطرة لتركه؟ وصلت إلى منزل جيرانها لتجد توبي وسوسي مرتديان ملابسهما وقبعاتهما ومعطفيهما.. وكذلك جيف، وقال بمرح: - سأخذهما في نزهة.

نظر توبي إليها، يحس شيئاً، وعاد يقطب بنفس الطريقة التي كان يقطب فيها حين حيره تصرفها في السابق.. وقال جيف: - ربما سأشترى لهما الغداء ونحن نتنزه في السيارة.. بهدوء إلتفت إلى زوجته وقال:

- أخبريها باولا.. أخبريها، فإذا لم تفعل.. سأفعل أنا. حين أصبحت المرأةان لوحدهما، هاوت فيونا على كرسي.. وجلست باولا تواجهها.

- ماذا حدث ليلة أمس؟.. هل تشارجمـا؟ ردت هامسة: - بل أسوأ من هذا.. لن.. أستطيع الكلام عما حدث.. باولا.. سأترك روبي.. اليوم

وانهارت، رأسها بين يديها تبكي.. بكت بنفس العنف الذي بكت فيه يوم مقتل أبيها.. وهذا يشبه ذاك، لأنها استفقد شخصين عزيزين.

- تركـه؟ أوه.. لا! فيونا لا.. لا تستطيعي هذا! رفعت رأسها ترد بصوت يثير الإشراق:

- سأفعل.. وسترين! مسكنة باولا.. تبدين تعيسة مثلـا!

- ولسبب جيد! فأنا مغفرة لكما.. ولا أستطيع التفرج على هذا وهو يحدث.. فيونا.. إنه يحبك.. ألا تعرفين هذا؟

- يحبني؟ أيتها البلاهـاء المـسـكـينة! إنـزـلـي عن هذه السـحـابة المرـفـعة! روـي لا يـحبـني. لم يـحبـني يـوـمـاً ولـنـ يـحبـني.. لا زـالـ يـحبـ بـاميـلاـ.

- هـراءـ! هـراءـ بالـكـاملـ! إـهـدـأـيـ الآـنـ وـاصـغـيـ إـلـيـ.. لـديـ شـيءـ أـقـولـهـ لـكـ. وـقـدـ يـسـاعـدـ هـذـاـ عـلـىـ فـهـمـهـ.

- لنـ يـفـرـقـ الآـنـ.. لـاـ شـيءـ سـتـقـولـهـ يـعـلـمـيـ أـغـيـرـ رـأـيـ أـظـنـ أـنـيـ تـوقـفـتـ عـنـ حـبـ باـولاـ.. وـأـظـنـتـيـ أـكـرـهـهـ؟

وـانـدـفـعـتـ فـيـ نـوـبـةـ بـكـاءـ جـدـيـدةـ، وـجـلـسـتـ صـدـيقـتهاـ إـلـىـ جـانـبـهاـ.

- تـوقـفـيـ عـنـ الـبـكـاءـ! هـيـاـ الآـنـ، تـوقـفـيـ! لـقـدـ فـهـمـتـ كـلـ شـيءـ بـطـرـيـقـةـ خـاطـرـةـ.. كـنـتـ أـرـيدـ أـنـ أـقـولـ لـكـ هـذـاـ مـنـ قـبـلـ.. لـكـنـتـيـ وـجـيـفـ لـاـ نـحـبـ التـدـخـلـ.. وـكـنـاـ مـقـنـعـتـانـ أـنـ روـيـ سـيـقـولـ لـكـ بـنـفـسـهـ.

- يـقـولـ لـيـ مـاـذـاـ؟ مـاـ الـأـمـرـ؟

- عـنـ بـاميـلاـ.. وـعـنـ خـيـانتـهاـ.

- مـاـذـاـ؟ لـاـ أـسـتـطـعـ.. ..

- التـصـدـيقـ؟.. صـدـقـيـ حـبـيـتـيـ.. بـاميـلاـ كـانـتـ تـقـيمـ عـلـاقـةـ مـنـذـ سـنـواتـ مـنـ خـلـفـ ظـهـرـ روـيـ.. وـهـذـاـ سـبـبـ مـاـ جـرـىـ لـيـلـةـ أـمـسـ.. روـيـ أـحـسـ بـالـغـيـرـةـ وـالـغـضـبـ، وـعـدـمـ الـأـمـانـ..

ذهـلتـ فيـونـاـ، وـتـوقـفـتـ دـمـوعـهاـ، وـجـلـسـتـ دونـ حرـاكـ.

- وهل كانت تقيم علاقة مع جايسون هارتس؟

- لا.. تكوني سخيفة! لا أعرف إسم الرجل، ولا روبي يعرفه.. يعرف إسمه الأول فقط.. ولم يعرف بما كان يجري من بعد وفاتها بشهر أو يزيد.. جاءنا ذات ليلة بحالة مريعة، كنا على وشك النوم، وعرفنا منه أنه كان يفتش بأ شيئاً، ليجد حفنة من الرسائل، وقرأ كل واحدة منها، وفي كل منها الدليل القاطع على علاقتها برجل آخر كانت تحبه ويعيش هنا.. ولا تتصروري كم كان مصدوماً.. والرجل كان متزوجاً.. وهذا كل ما أعرفه.

- لكن.. لا أفهم! لم يكونا سعيدين معاً؟ ظننت..

- بدأها هكذا، لكن من يدرى؟ فالماء لا يعرف كل شيء، مما يدور بين شخصين يعيشان معاً.

- باولا.. أتصنعي لي فنجان قهوة؟ أنا بحاجة للتفكير..
جلست وبباولا تختسبان القهوة. وتمتلت لها باولا مبتسمة:

- لم يفت الوقت بعد.. ابتسمي..

- يجب أن أنكلم معه..

- كنت أقول لك هذا منذ أسابيع. إجلسي وتناولي قهوتك الآن.

- لكنه ليس في المنزل، ولست أدرى أين..

- لن يبقى خارجاً طوال النهار.. على الأرجح يقوم بعض التفكير لنفسه، ولا شك أنه سيعود قريباً.. لذا، سأوصل توبي حوالي.. لنقل الخامسة.. ولن أدخل.. والآن توقفي عن هذا القلق.. كل ما عليك هو أن تذكري أن روبي يحبك وإلا لماذا

تصرف بهذه الغيرة الواضحة؟

لم تقل فيينا المزيد.. فهي لم تفكر يوماً أنها لا تعني شيئاً لروبي.. لكن هذا بعيد جداً، جداً عن الحب.. ومنطق باولا ليس مكتملاً، بالنسبة لها.. فقد يكون روبي قد تصرف بغضب لأنه ظن نفسه يرى التاريخ يكرر نفسه، وقد يكون هذا مجرد غرور رجولي مصدوم، فلا شيء يشير إلى أنه في الواقع يحبها.

الاختراق

وصلت فيونا إلى المنزل قبل الساعة الثانية، ولم يكن روبي قد عاد بعد وسيارته ليست موجودة.

أين هو إذن؟

جلست في غرفة الجلوس متطرفة.. وانتظرت، ومرت الساعة الثالثة.

لو أنها فقط تعرف ماذا يدور في خلد روبي الآن.. ! قال لها ليلة أمس أنه لم يعد يتحمل المزيد.. فماذا كان يعني بالضبط؟ هل ما وصل إليه زواجهما.. غلطتها؟.. وهل كانت تأمل الكثير؟ ربما بالفعل هذه غلطتها بالكامل.. ربما العيش معها كان بالنسبة له تحرراً من وهم ما.. فهذا ما لم يكن يتوقعه أو يتصوره.

لا.. هذا غير صحيح.. لقد عرف ما يكفي من بعضهما.. أو على الأقل، وعرفا بالتأكيد أنهما متناسبان.. متناسبان! ضحكت عالياً.. ألم تستخدم هذه الكلمة حين وافقت على الزواج منه؟ حين سمعت لتبرير موافقتها على كل شيء ما عدا واقع أنها تحبه؟ نحن متناسبان، وأنا مولعة بك.. ألم تقل له هذا؟

اشتدت قوة الرياح.. وتحولت المطر الخفيف إلى عاصفة. فجأة، برب إلى رأسها كلمة: حادثة! وتلاشى غضبها ليتحول إلى رعب.. ماذا لو حصل له حادثة؟ إنه يقود سيارته القوية في أفضل الحالات بسرعة فائقة.. فبأي مزاج كان غادر المنزل؟ وفي أية ساعة؟ ربما خرج في منتصف الليل وهي تعلم؟ ربما خرج فور أن تركها.. وفي غضب كامل.. وليس هناك طريقة لتعرف.

دققت الساعة مجدداً، ونظرت إليها لتذهل أن تراها السادسة وليست الخامسة.. باولا وعدت أن تحضر توبى في الخامسة. فلماذا لم تفعل؟ هل أخرها المطر أم أن روبي موجود الآن هناك؟ أخذت سماعة الهاتف واتصلت بباولا:

- هذه أنا.. لم يظهر روبي بعد.. أليس عندكم؟

- بالطبع لا.. هل أنت على ما يرام؟

نهدت فيونا:

- أجل.. قلت أنك ستأتيين بتوبى إلى المنزل.. هل آتي لإأخذك بنفسك؟

- ماذا؟ فيونا.. لقد أوصلته منذ أكثر من ساعة! ولم أدخل كما قلت لك.. فيونا.. لقد شاهدته يدخل المنزل! راقبته يدخل الباب الأمامي! ولا بد أن يكون في المنزل.

قفزت فيونا واقفة تصيح:

- لا!

- لا بد أنه في غرفته.. ربما ذهب إلى هناك رأساً.

- ولماذا يفعل هذا؟ كيف.. .

شيء.. لا شيء سوى صوت الريح بين الأشجار. إنها بحاجة إلى مساعدة.. فهي لا تجرب على الغوص أكثر في عمق الغابة كي لا تضيع.. ومن الأفضل الحصول على عون.. وبسرعة.

سمعت صوت الهاتف يرن وهي تقترب من باب المطبخ، لكنه توقف لحظة وصولها إليه: اللعنة! أمسكت السماعة وبدأت تطلب رقم باولا. تسأله ما الذي حدث؟ كان يجب أن تتصل بها قبل التوجه إلى الغابة، وطلب المساعدة منها.

- فيونا؟ فيونا!

كان صوت روبي يأتي من أمام المنزل.. رمت السماعة غير قادرة على الحركة.. صوت روبي.. صوت روبي مليء بالخوف خوف لا خطأ فيه؟

ركضت إلى الردهة، وتوقفت مصعوبة لرؤيه زوجها.. رمادي اللون، أكبر بستونات من آخر مرة شاهدته فيها.. وكان يقف مصدوماً ينظر إليها، منكفي إلى الأمام وكانه يجد صعوبة في الوقوف.. وقال، بهدوء، وعجز:

- فيونا.. ماذا ستفعل؟

تحركت كالبرق، تطلق صيحة كصرخ اليائس وأمسكت بتلابيب معطفه وقالت بذعر:

- ماذا تعني؟.. ماذا تعني؟.. هل وجدته؟ أين هو؟

لم يكن لديه فكرة عمما تقوله.. وهذا واضح.. ولم يقل شيئاً.. كان ينظر إليها وكأنه ينظر إلى مجونة.. وبدأت تهتز بسرعة.. جمل قصيرة حارة خرجت متتسارعة لتشكل كومة من

واحتاجتها موجة خوف جديدة جعلتها تصمت. الحقيقة التي تركتها في الردهة.. وكانت تبكي، ولا بد أن توبي سمعها.

- باولا.. سافتش المنزل كله.

- عاودي الإتصال بي..

لكن فيونا كانت قد أغلقت الخط. فتشت المنزل كله عيناً.. إنه لا يختفي.. ولا بد أنه هرب! إلى أين يمكن لولد في الخامسة أن يهرب؟
الغابة!

نزلت إلى غرفة المعدات، وأخذت المعطف الواقي من المطر، وفتحت باب المطبخ.. إنها بحاجة إلى مصباح، ففي الخارج ظلام دامس.. أمسكت به وخرجت إلى المرجة الخلفية الغابة تحيط بالمنزل من ثلاثة أطراقه، أما الجهة الجنوبية فهي تواجه البحر.. على مسافة بعيدة فوق الصخور..

لا.. لا.. لا يمكنه الذهاب في ذلك الإتجاه.. لا يمكنها التفكير بهذا.. فالغابة مثيرة أكثر للطفل.. وكان يجب استكشافها.. صاحت من الخارج..

- توبي؟ توبي! أيمكن أن تسمعني؟ حبيبي..
وكررت النداء.. لكن معطفها علق بشيء.. مما جعلها تقف مسممة في مكانها، وأوقيت المصباح.. وخلقت نفسها بنفاذ صبر ثم زررت المعطف جيداً كي لا يطيره الريح، والتقطت المصباح تنطلق ثانية.

توقفت بعد فترة من التفتيش والنداء، تصفي إلى أي رد.. لا

كان جيف على وشك اللحاق به إلى الخارج، لكن فيونا منعته.
- إنتظر.

والقطت الهاتف لترد على باولا، وإلى أن عاد روبي كانت قد أنهت كلامها معها وقال: لا أثر لها وكررت فيونا هذا الباولا: إنه ليس في السقيقة هل لديك فكرة ما؟
قال جيف:

- الكاراج؟ هل تفحصتم الكاراج؟

وخرج الثلاثة إلى الخارج، ليجدوا توبي في الكاراج الثاني مجلس في الظلام، متوكماً في الزاوية، وترابع حين وصلاه، مغفلًا للضوء الذي أرسله روبي نحوه، وحمله بين ذراعيه:

- تعال يا بني.. كل شيء على ما يرام.. لا حاجة للإختباء بعد الآن، فيونا هنا، وأنا هنا، وكل شيء سيكون على ما يرام.. أترى؟

حمله إلى حيث تقف فيونا.. ووجدت نفسها مراقبة من أربعة عيون رمادية يحيلة.. ومتولدة.. ولو لا أن وضع جيف يده على كتفها لما وجدت القوة لتقول شيئاً:

- بالطبع.. كل شيء على ما يرام: لقد أفلقتنا حبيبي!
ومدت له ذراعيها.

الفت روبي إلى جيف:

- شكرأ جيف، وأنا آسف لقلفك أنت وباولا.
- إنسي الأمر.

انتظر روبي إلى أن أصبح لوحده مع فيونا وقال لها:

المعلومات غير المتربطة.. وهزها روبي:
- توقفي!

ونسي ما كان يشغلها ويحوله إلى الجمود:
- لأجل السماء! تكلمي بشيء مفهوم.. أخبريني.. بيظء..
ما الذي حدث؟

- لا وقت لهذا! توبي مفقوداً
صاح ويداه تشدان على كتفيها:

- فهمت هذا! هل نظرت في سقيقة الحديقة؟
- لا.. لكنه لا يدخل إلى هناك أبداً!

- قد يفعل.. إنه صغير، لكن ليس بالغبي.. ولا أتصور في أن يختبئ في الغابة في مثل هذا الطقس..
- لا.. توبي ليس غبياً.. لكنه خائف، ومتذكرة.. وفي تفكيره أن الدنيا تهافت من حوله إلى شطايها.
- سأتي معك.

- لا.. لا يحتاج هذا إلى إثنين.. اتصل بياؤلاً وضعيها في الصورة.. لا بد أنها مذعورة.. وأبقيها على الخط إلى أن أعود.
إذا لم يكن توبي في السقيقة، ستنستدعني جيف للمساعدة.
لكن جيف وصل، وسمعاً صوته ينادي بما فرد روبي:
- نحن هنا..

في نفس الوقت رن جرس الهاتف فنظر روبي من زوجته إلى جيف إلى الهاتف وقال دون توجيه كلامه لأحد:
- رد عليه.

- لماذا لا أحضر لك فنجان قهوة الآن.

هزت رأسها شاكراً، وجلست على كرسي المطبخ المرتفعة.. ولم تعد تبكي.. فما تخس به هو العرفان بالجميل، والندم، و... الأمل، مجرد الأمل، أن تتمكن من اختراق ما في نفس زوجها، كما كان يجب أن تفعل منذ البداية.

تناول الثلاثة معاً طعام العشاء في المطبخ.. وسقطت أجفان توي قبل أن ينهي طعامه، معاً حلاه إلى السرير وبقيا معه إلى أن نام، ومعاً نزلا إلى غرفة الجلوس.. فجأة لم يعودا معاً.. بل أصبحا فقط في غرفة واحدة.

تكلم روبي أولاً.. كان يقف قرب المدفأة وظهره لها.. مد يده يشعل سيكاره، ثم استدار يواجهها دون أن ينظر إلى عينيها:

- فيونا.. حول ليلة أمس.. يبدو أن الإعتذار لن يكفي..
ردت بهدوء هامس:

- بل.. يكفي.. لكن غضبك لم يكن له عنبر.. و...
- كنت ستركتيني.. أليس كذلك؟

- أجل.. كنت سترتك.. وضفت حقتي هذا الصباح..
ونزلت أبحث عنك، لأنقول لك.

- وماذا حدث لتغيريرأيك؟
- شيئاً.. أولاً.. أنا.. أحبك، ولا أستطيع تركك..
ويجب أن تطردني.
صمت مجدداً.

حين لم بعد الصمت يطاق، نظرت إليه، كان يحدق بها، وكأنه

غير قادر أن يصدق ما يسمع.. ثم قالت:

- يا إلهي! لو أنك فقط تعرفين كم أردت أن أسمعك تقولين هذا!

- روبي.. يجب أن..

- قوليهما مرة أخرى.. دعيني أسمعك تقوليهما ثانية!

- أحبك.. ولطالما أحببتك.. أحببتك قبل أن أتزوجك، لكنني لم أرغب أن أرمي عليك عبء هذه المعرفة.

- عبء..؟ عبء؟ فيونا.. ماذا تعني بقولك هذا؟
أشاحت بوجهها عنه:

- أعني.. المسؤولية.. حل أن تعرف.. ولا تتمكن من رد حبي.. وظنتك ستظنيني غبية.. نظراً لما قلته لك، ونظرياتي حول الزواج.. ظنت..

أخذ يضحك، ولم يكن في ضحكته مرح، بل سخرية:

- روبي.. أرجوك! لست أدرى..

- لا.. هناك الكثير لا ترينـه، وهذه غلطـتي بالـكامـل.. أوه.. فيونـا.. توـقـيـ عنـ النـظـرـ إـلـيـ هـكـذاـ! فـأـنـاـ أـحـبـكـ أـيـضاـ.. أـلـاـ تـعـرـفـ هـذـاـ؟

- لا.. كـيفـ.. لـمـذـاـ..

- ولـمـذـاـ تـعـرـفـ؟ كـيفـ يـمـكـنـ أـنـ تـعـرـفـ..؟ بـعـدـ لـيـلـةـ أـمـسـ أـفـهمـ
لـمـذـاـ.

وقفـتـ عـلـىـ قـدـمـيـهاـ عـبـطـةـ، خـائـفـةـ، سـاخـطـةـ مـهـتـاجـةـ.. كـلـ هـذـاـ
دـفـعـةـ وـاحـدـةـ.

- الأمر لا يتعلّق بما جدّت ليلة أمس.. إنّ هذا.. توقف عن القلق روبي.. ألا تدرك أنّي طوال هذه المدة كنت مؤمّنة أنك لا تزال تحب زوجتك السابقة؟

- لأجل السماء!

- هذا صحيح؟ ولم لا كيّف لي أن أعرف ما كانت حقيقة حياتك معها؟ فأنا لا زلت لا أعرف.. كل ما أعرفه أنها لم تكن مخلصة لك.. ولا أعرف لماذا، ولا أعرف ما هو شعورك حول هذا.

- باولا.. أليس كذلك هي قالت لك؟

تقدّم نحوها، أمسك كلتا يديها، وقادها إلى الأريكة:

- إجلسي حبيبتي.. سأفعل هذا.. كان يجب أن أخبرك منذ البداية، وقبل أن تزوج، لكن هذا لم يبدُ لي ضروري.. فلقد تجاوزت تلك المرحلة، موتها وكل شيء معها منذ وقت طويل، ولم يكن هناك سبب يدعوني للظن أن مثل هذا سيأتي بيتنا، أو يغير ما بيتنا.. ثم أن هذا ليس أمراً أفترّبه.

أطّبقت عيناً فيوناً:

- أووه.. روبي! ضمّني إليك.. ضمّني فقط للحظة.. كنت خائفة جداً..

ضمّها إليه بقوّة، يملس شعرها الأسود الحريري بالطريقة التي اعتادها.

- وأنا كنت خائفاً.. ولن أكذب عليك فيوناً.. لم أكن أظُن أنني أحبّ حين تزوجت.. أو على الأقل لم أكن أدرك هذا.. ولست أدرى متى حدث، وفي آية مرحلة بدأت أحبك.. لكتني أستطيع

القول متى صدمني الحب.. في أي يوم.. كان ذلك يوم شاجرنا في مطلع السنة، حين خرجت لتسوقي.

هزّ كفيه.. يبدو أنه لا يحب الكلمات المناسبة، ثم أكمل:

- أدركت يومها، في تلك اللحظة، أنتي أحبك.. لا أستطيع معرفة متى بدأت أحبك، لكن كانت تلك اللحظة التي عرفت فيها، ولست فخوراً بما عاملتك به.. وأتمنى أن تصدقيني.. ابتعد عنها متنها:

- كانت تمرّ بي أوقات أجده نفسي فيها في موقف مائل مع باميلا.. أنا في المنزل وهي في الخارج، وما كنت أشك أنها مع شخص آخر.. وكانت تعود لتتصرّف بشكل طبيعي تماماً.. تقول لي أين كانت وأصدقها..

تنهد مجدداً:

- وزاد غبائي.. قبل أشهر من حملها طلبت الطلاق.

- الطلاق؟ إذن كانت الأمور سيئة بينكمَا؟

ابتسم قليلاً:

- لا.. وهذا هو الجنون بعينه، لم تكن الأمور سيئة، أو هذا ما ظننته.. ظننتها تغزّ.. وسألتها ما الذي حدث.. ولم أكن أظُن للحظة أن هناك شيئاً خاطئاً.. قالت إنها ملت، ببساطة وصراحة..

- أجده صعوبة في فهم تلك المرأة.. كان من الأفضل لها أن تقول الحقيقة.. مهمماً كانت جارحة؟

- كانت ستكون صادقة أكثر.. بعد موتها، وعرفت الحقيقة، لم أستطع التوصل سوى إلى إستنتاجين.. ولا زلت لا أعرف أيهما

قضاء وقت أطول معها بعد أن طلبت الطلاق.. وأخذنا عطلة شهر قضيناه في الباهاما.. ثم سافرنا رأساً إلى إنكلترا.. بالنسبة لي كانت تلك الرحلة شهر عسل ثانٍ.. ولم يكن هناك أي شيء خططي في حياتنا الزوجية، وهذا ما يجعل علاقتها مع رجل آخر صعبة الفهم.. وأجددها صعبة الفهم في هذا الوقت.. حين أعلنت حلها أحسينا معاً بالسرور، وخططتنا ليكون لنا زمرة أولاد.. لكن، كنا نظن أننا قادران على تخطيط مستقبلنا.. أحياناً شيء ما يقف في الطريق، سميته القدر، سميته القدرة الإلهية، سميته ما شئت.. وظلت إِن مشاكلها ومشاكلنا حلٌّ، وأنها أصبحت سعادة، وأكثر رضى مع الطفل.. لعنة الله فيينا فقد عادت لرؤيه دانيال بعد ولادة توبى! فقد وجدت أن تاريخ آخر خطاب كان في أيلول قبل شهرين من موتها.

- لست أدرى لماذا أنت غاضب هكذا.. أهي الكراهة المجرورة؟
- كنت غاضباً لغائي، لعمي.. كان يجب أن أشك بشيء، وربما هذا مرد العجرفة من جهتي.
إِيسمت.

- هون عليك.. قلت بنفسك أنها كانت متكتمة ماكرة.. وكانت مصممة أن لا تعرف شيئاً حتى حين طلبت الطلاق، ورأي أنها لم تكن تحبك.. ربما كبرت لتصبح شخصية مختلفة، مع حاجات مختلفة، وأظن لو أن دانيال كان مستعداً لطلاق زوجته، والزواج من باميلا، لتركك.. وأنا مقتنعة أن حبها لك غير شاكلته.. ومن يدري ما كان سيحدث لو بقيت حية؟

الأصح، إما أنها كانت لا تزال تحبني بدرجة ما، ولا تزيد حقاً الطلاق، أو أن البقاء معي كان أنسٌ لها.. فالرجل الذي كانت على علاقة معه كان متزوجاً ويسكن في هذه المنطقة..

- وهل كانت الرسائل تصلها إلى هنا؟

- أوه.. لا.. فهبي أذكي من هذا.. كانت تصل إلى صندوق بريدي في «النبي» وكان قد أوضح لها أنه لن يطلق إمرأته.. قال إنه يحبها لكنه لن يحطم بيته لأجلها.. ولديه ولدان.. وهذا كل ما أعرفه عنه.. كان صادقاً معها.. وما عرفته حقاً أن علاقتهم استمرت أكثر من ستين.. وأتنى حين كنت أسافر، كانت باميلا تمضي ليل معه في فندق صغير، اسمه لم يذكر مرة في الرسائل.. وما أن عرفت كل هذا حتى أصبح ليس للأمر أهمية.. مع ذلك كانت صدمة رهيبة لي.. الرسائل كانت موقعة باسم دانيال.. وبعضها.. كانت.. دعني أقول أتنى ندمت على قرائتها.

تاوحت فيينا:

- روبي.. أرجو أن لا تشک لحظة في أن توبى إِينك، مجرد النظر..

- لا.. إنه نسخة طبق الأصل عنِّي.. وستساعدني السماء.. ثم إنها حلّت به وكنا مسافران.

- لكنها كانت تعرف ظروفك قبل أن تتزوجا، وتعرف أن دراساتك تتطلب السفر الدائم، وتعرف كم تعني مهنته لك، وأنها ستكون لوحدها حين تعمل؟

- أجل كانت تعرف كل هذا، على أي حال، حاولت جهدي

- فيونا.. حبيبي السخيفه!

- هناك شيء أضيقه، وهو مهم.. أريدك أن تعرف أن كلمات إيلين لم تعد تؤثر علي روبي.. ليس بعد أن عرفت أنك تحبني.

اشتدت ذراعاه حولها.. لكنها سحبت نفسها كي تراه، وترى عيناه.

- أردتك أن تحبني كما أحبك.. في البداية أمعنعت من الوضع ثم ابتدأت أمعنعت منك لأنني أحبك، وهذا منطق؟ وهذا جزء من السبب الذي أبعدنا عن بعض.. كان من الأفضل لو أخبرتي كل شيء منذ أشهر.. ولقد تصرفت بشكل سيء كذلك.. كنت أغار.. أغار مما كنت أؤمن أنه كان زواجاً مثالياً.

- فيونا أحبك كثيراً، وأكره التفكير بالوقت الذي ضيعناه.. بالطريقة التي كنا نجرح بعضنا بها.. ليلة أمس حين شاهدتكم تعيشين مع ذلك المغدور.. أشعـل هذا في نفسي غضباً ما كنت أعتقد أنني أملـكه.. أردت أن أخنقـه، وأردت معاـقبـتكـ، مع إنـني أعرـف أن لا شيء من كلـ هـذا.. كانت الأمـورـ سـيـئةـ جداـ بيـتناـ.. وـلمـ أـكـنـ وـائـقاـ تـامـاـ منـكـ، كـماـ آـنـهـ رـجـلـ جـذـابـ.

- ليس جذاباً بالنسبة لي.. وسيـمـ أـجلـ، لكنـ جـذـابـ.. لا!

آـسـفـةـ روـيـ! لـسـتـ أـدـرـيـ بـمـاـذاـ كـنـتـ أـفـكـرـ ساعـتهاـ.

أمسـكـ روـيـ ذـقـنـهاـ، وـنـظـرـ عـمـيقـاـ فـيـ عـيـنـيهـ.

- مـنـذـ الآـنـ، لـنـ يـكـوـنـ هـنـاكـ المـزـيدـ مـنـ سـوـءـ التـفـاهـمـ..

- أـتـعـدـيـنـيـ؟

- أـجـلـ.. أـوـهـ ياـ اللهـ! أـجـلـ.. إـصـعـبـ إـلـيـ.. وـفـكـرـ بـمـاـ سـأـقـولـهـ

- يـكـفيـ أـقـولـ أـنـ هـذـاـ أـثـرـ عـلـيـ نـفـسـيـ حتـىـ أـنـيـ حـيـنـ حـضـرـتـ يومـهاـ إـلـىـ المـتـرـزـ وـلـمـ أـجـدـكـ.. شـكـكـتـ بـكـ فـورـاـ.. أـعـنـيـ..

ـ تـنـهـدـتـ فيـونـاـ تـهـزـ رـأـسـهاـ:

- أـفـهـمـكـ.. تـعـنـيـ أـنـكـ شـكـكـتـ بـيـ، وـلـمـ تـشـكـ.. لـكـنـ لـمـ تـكـنـ تـحـسـ بـالـطـمـانـيـةـ مـنـ جـهـتـيـ؟ـ كـانـ يـمـكـنـتـاـ أـنـ تـنـحـدـثـ..ـ لـاـ

ـ يـكـفـيـ أـنـ نـسـأـلـ بـعـضـنـاـ أـيـنـ الخـطاـ، كـانـ يـجـبـ أـنـ نـفـتـشـ عـنـهـ.

- حـاـوـلـنـاـ..

- لـاـ.. لـمـ نـحـاـوـلـ.. لـأـنـاـ كـنـاـ خـافـانـ، وـمـعـاـ.. خـافـانـ مـاـ قـدـ

ـ نـعـرـفـ وـنـسـمـعـ.. وـعـلـاقـتـنـاـ كـانـتـ تـتـدـهـورـ مـنـذـ ذـلـكـ الـيـومـ.

- إـنـاـ غـلـطـتـيـ.

- لـاـ.. لـنـ أـقـبـلـ بـهـذـاـ، فـأـنـاـ كـذـلـكـ كـنـتـ مـقـنـعـةـ أـنـكـ لـاـ زـلتـ

ـ تـحـبـ ذـكـرـاـهاـ.

- هـذـهـ هـيـ المـشـكـلـةـ فيـونـاـ.. لـمـ يـكـنـ مـنـاـ أـحـدـ يـفـكـرـ بـصـفـاءـ.

ـ كـنـاـ نـحـمـيـ بـعـضـنـاـ مـنـ الحـقـيقـةـ..ـ هـذـاـ مـاـ فـكـرـتـ بـهـ فيـونـاـ..ـ لـكـنـ

ـ بـامـيلاـ كـذـلـكـ كـانـتـ تـحـمـيـهـ مـنـ الحـقـيقـةـ..ـ وـهـوـ بـالـتـالـيـ حـسـ

ـ وـالـدـيـهـاـ مـنـ أـنـ يـعـرـفـانـهاـ.

ـ أـمـسـكـ بـيـدهـاـ، وـوـضـعـهـاـ عـلـىـ شـفـتـيـهـ، يـقـبـلـ كـلـ أـصـبعـ مـنـهـمـاـ.

ـ فـنـظـرـتـ إـلـيـ مـبـاـشـرـةـ.

- لـمـ أـقـلـ لـكـ أـبـداـ، كـمـ كـنـتـ أـنـزـعـجـ حـيـنـ كـانـ إـيلـينـ تـذـكـرـ إـسـمـهـ

ـ أـمـامـيـ..ـ وـكـرـهـتـهـ مـعـ أـنـيـ فـهـمـتـ سـيـبـهـ..ـ وـلـمـ أـخـبـرـكـ لـأـنـيـ لـمـ

ـ أـرـغـبـ فـيـ أـنـ يـعـلـمـ..ـ إـنـيـ..ـ إـنـيـ..ـ كـنـتـ أـغـارـ.

ـ ضـمـهـاـ إـلـيـ بـلـطـفـ وـلـفـ ذـرـاعـهـ حـولـهـ:

- حسناً سيدة غارليس، ألا زلت مصممة على أن الحب ليس
مقوماً أساسياً للزواج؟

- أجل.. لا زلت مصممة.. لكن التجربة تدفعني إلى تعزيز
تلك الفكرة بالقول أنه غير مهم شريطة أن يحس الإثنان بنفس
المشاعر.. وسيكون هناك إرتباك كبير في حال عدم التوازن، إذا
كان أحدهما يحب الآخر لا.

وستخبره في الغد أن الأمور ستكون الطف وأجل مع وجود
الحب.. في الغد.

ونامت وهي تفكير بكل ما سيأتيه الغد والغد ما بعده.. هنا في
آلبي أو في إنكلترا.. أو ربما في أميركا.. ليس هذا مهم لهما..
فالملهم إنهم معاً.. علاقتهما تعرضت لتغيير آخر.. والفرق إنهم
الآن معاً في الروح، والجسد، والتفكير.

متروياً.. أنا في الثالثة والعشرين.. أي في نفس سن باميلا حين
تزوجتها.. لكتني مختلفة.. وأنا كذلك سأتغير مع السنوات
القادمة، وهذا شيء طبيعي.. لكتني بدأت زواجي معك من موقف
مخالف لوقفها.. أنت تعرف من قبل أن تزوجني نوع الحياة التي
أحبها.. لقد أتيت لنفسي طريقة حياة هادئة ناسبتي تماماً..
وأكره أن أقول هذا لكتنا «متناسبان».. أعني على عكس باميلا، لدى
عملي، وعمل أحبه.. كلانا نحب ما نعمل، ونفهم استغراق
أحدنا بعمله.. ولا نتعجب أو نكره أن تكون لوحذنا..
ولاستخدم جملة أنت مولع بها: فحق نحترم عملنا.. وأكره أن
أضيف، خاصة وأن توبي ابن باميلا.. لكتني حصلت على عائلة
جاهزة ولا مكان في حياتي للملل.

ضحك روبي وضمها مجدداً:

- في الواقع، ستكوني سيدة مشغولة جداً.. فلو أن لي رأي
بالموضوع، فسحصل على نصف ذرينة من الأولاد.
ضحكت فيينا.

- ستة؟.. ربما إثنان.. أو ثلاثة..
حين عانقتها مجدداً، ثم قبلها قبلة الزوج المحب، عرفت أن ما
كان لهم، قد استعاداه، دون أدنى شك.. إنهم معاً الآن، معاً
كما كانوا من قبل، وأنهم إنطلاقاً إلى أرض الحب والصفاء
مجدداً..

ساعات فيما بعد كانا مستعدان للنوم، وهما ملتفان بين ذراعي
بعضهما داعبها بشأن النظريات التي كانت لها فيما مضى.